الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

الموسومة بـ:

المسغبات والأوبئة في المغرب الأقصى في العهد المريني القرن7 هـ إلى 9 هـ

إعداد الطالبتين:

– زنون سعيدة.

– زرداني كريمة.

إشراف الأستاذ:

– د. طويلب عبد القادر.

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. بوخلوة حسين	أستاذ محاضر – أ–	ابن خلدون – تيارت–	رئيسا
د. طويلب عبد القادر	أستاذ محاضر – أ–	ابن خلدون – تيارت–	مشرفا مقررا
د. حاكمي الحبيب	أستاذ محاضر – أ–	ابن خلدون – تيارت–	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1442– 1443هـ/ 2021– 2022م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: 07]

نحمد الله عز وجل فالشكر له والثناء عليه بما هو أهله

لأنه جعلنا من عباده وشرفنا بطاعته،

وأعاننا على أداء هذا الواجب وإتمامه، كما نشهد بالفضل

والشكر والتقدير إلى أستاذنا المشرف الفاضل "طويلب عبد القادر"،

الذي كان خير المرشد ونعم سند، لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة،

فجازاه الله عنا كل خير، وحفظه الله وأطال في عمره.

كما نتقدم بجزيل الشكر

إلى أساتذتنا أعضاء لجنة المناقشة الموقرين على ما تكبدوه من عناء في قراءة

رسالتنا المتواضعة وإغنائها بمقترحاتهم القيمة.

كما نخص بالشكر جميع أساتذة قسم التاريخ على ما قدموه لنا من معلومات

طيلة مشوارنا الدراسي بالجامعة.

إهداء

إلى من أرضعتني الحب والحنان إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

إلى القلب الناصع بالبياض أمي الحبيبة "نورة"

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم وعلمني أن الحياة كفاح

ونضال أبي العزيز "جيلالي" إلى قلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة

إلى رياحين حياتي أخي "عبد القادر".

إليك يا من عشنا الصداقة وشققنا سبيلا للعلم شقا ورسمنا

إليه فذكراك حتما ستبقى في غزارة نفسي العميقة

إليك صديقتي "كريمة".

سعيدة

إهداء

إلى نبع الحنان والشمس الساطعة في حياتي

والتي دوما تحدثني على الصبر مفتاح الفرج وترافقني بدعائها لي

أمي الحبيبة "زهرة"

إلى البدر الذي يضيء طريقي وينبع العطاء الذي زرع

في نفسي الطموح ومنحني السعادة

أبي الغالي "جلول" طيب الله ثراه ورحمه.

إلى مصدر قوتي وقرة عيني إخوتي خاصة أختي "بشرى"

إلى سندي صديقتي "فاطيمة" التي شاركتني فرحتني بالكلمة الحلوة.

كريمة

قائمة المختصرات

الرمز	الكلمة
ص	صفحة
ص ص	صفحتين متتابعتين
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	الجزء
ط	الطبعة
د.ط	دون طبعة
د.م	دون مكان
د. ت	دون تاريخ النشر
هـ	الهجري
م	الميلادي

مقدمة

تعد المسغبات والأوبئة من أخطر الأزمات التي تهدد حياة الإنسان وهي من عوامل التي تتسبب في تأخر المجتمعات وضعفها نظرا لما تلحقه من الأضرار، فقد تعرض المغرب الأقصى في العهد المريني في الفترة الوسيطة خلال القرن السابع للهجري والتاسع الهجري كغيره من الأقاليم الأخرى أزمات عديدة آلت إلى سلسلة من تحولات الكبرى والانعطافات الحاسمة في مسارها التاريخي فكانت المجاعات والأوبئة من أشد البلايا وقعا على المجتمع المغربي، خاصة وأنها أفرزت واقعا مريرا صعب على الإنسان المريني، وتكمن أهمية دراسة موضوع المسغبات والأوبئة في المغرب المريني تكمن في إزالة العتمة عن مراحل التي عاشها الفضاء الجغرافي إبان تعرضه من القرن (7 هـ إلى 9 هـ) لهذه الأزمات والتي كان لها أثر سلبي خاصة على الجانب (الاجتماعي والديمغرافي).

أسباب اختيار الموضوع:

1- أسباب ذاتية:

- الميل الشخصي والرغبة الذاتية للتعرف على الحياة الاجتماعية للمغرب الأقصى خلال الفترة المرينية.

2- أسباب موضوعية:

مما دفعنا أيضا للبحث الإهمال الباحثين لهذا النوع من الدراسة وذلك لأن معظم الدراسات اقتصرت على جانب معين دون الإلمام بالجوانب الأخرى.

1- مصادر سابقة:

1-الدراسات السابقة التي تناولت موضوع المجاعات و الأوبئة في الفترة الوسيطة عموما محدودة جدا إلى أنها أفادتنا كثيرا وأهمها:

-كتاب عبد الهادي، بياض الكوارث الطبيعة و أثرها في سلوكيات ودهنيات الإنسان في المغرب والأندلس الذي تناول فيه صاحبه عن مختلف المجاعات والجوائح الطبيعة التي اجتاحت المجتمع المغربي و معرفة دهنيات وسلوك الإنسان المغربي أوقات

زمن الشوق والمحن ولا ننسى كتاب التاريخ الأوبئة و المجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر لمؤلفة الأمين بزاز و إن كان بعيدا في الفترة الزمنية المخصصة للدراسة إلى إن ما يوجد به من رصيد علمي أفاجنا كثيرا أما ما يتعلق بالرسائل الجامعية و مقالات فهناك رسالة ما يفسر للباحثة سمية مزدور عنوانها المجاعات و الأوبئة بالمغرب الأوسط و الذي استفدنا منها في دراسة موضوعنا من حيث ترتيب المادة العلمية و المنهج المتبع كذلك الأسباب المؤدية لحدوث الجوع والوباء.

-كذلك رسالة ماستر لرقية موسيات بعنوان الغذاء و التغذية في المغرب الإسلامي الخضروات والفواكه أنموذجا أفادتنا كثيرا عن نوع الأغذية التي تناولها الإنسان المغربي في زمن المجاعات.

نقد المصادر والمراجع:

1- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع الفاسي، فقد أفادنا في المجاعات والأوبئة التي عصفت المغرب ككل إلا أنه أفادنا كذلك في المجاعات والأوبئة التي حدثت في المغرب الأقصى وأسباب حدوثها أهم من ذلك أنه ذكر بعض مظاهرها كغلاء الأسعار وعدد الوفيات ومنعكس ديمغرافي الناتج عن هذه الأزمات.

2- بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي، لقد أفادنا عن مظاهر الناتجة عن الأزمات الديمغرافية الناتجة عن أزمة الجوع والوباء.

3- وصف إفريقيا لحسن الوزان أفادنا هذا الأخير عن أهم الأمراض المنتشرة في المغرب الإسلامي في فترة الدراسة من القرن السابع إلى القرن التاسع.

3- إشكالية الدراسة:

إن موضوع المسبغات والأوبئة يطرح إشكاليات عديدة بكونه يعد من المواضيع الحساسة لما لها من تأثير على المجتمع المغرب الأقصى فما مدى انتشار الأمراض والمجاعات في المغرب الأقصى؟

1- ما هي أهم الأوبئة والمجاعات التي تعرض لها المغرب الأقصى؟

2- ما هي أهم الآثار والانعكاسات المترتبة عن هذه المجاعات والأوبئة؟

3- ما هي الطرق العلاجية؟

4- ما هي المجهودات المبذولة لتفادي القضاء عن هذه الأزمات؟

4- منهج الدراسة:

ومن أجل الإجابة على كل هذه التساؤلات اعتمدنا على منهجية قائمة على استرقاء وتحليل مختلف النصوص التاريخية من مصادر متنوعة والاعتماد في ذلك على المنهج الوصفي وقد اتبعنا في ذلك خطة منهجية هي كالآتي:

- المقدمة: بيّنا فيها أهمية الموضوع والأسباب الكامنة وراء اختياره ومختلف الدراسات المراد الإجابة عنها خلال هذه الدراسة والمنهج والخطة المتبعة لذلك ثم عرض لأهم المصادر التي اعتمدت عليها.

ففي الفصل الأول: تم استعراض نشأة الدولة المرينية من حيث الأصل بني مرين وقيام الدولة ووصولهم للمغرب والدور السياسي الذي ساهموا به المرينيين إلى عهد السلطان يوسف، أما المبحث الثاني تحدثنا فيه عن الأوضاع الاقتصادية لدولة بني مريني من ناحية الموضوع (الزراعة – الصناعة- التجارة)، أما المبحث الثالث الحياة الاجتماعية من خلال عناصر المجتمع.

الفصل الثاني: فقد تناولنا فيه أهم المجاعات والأوبئة التي ضربت المغرب الأقصى خلال العهد المريني ثم تطرقنا فيه إلى ذكر أهم المجاعات والأوبئة المنتشرة فيه ذكرنا الحديث المفصل عن مختلف الأسباب المؤدية لحدوث المسغبات والأوبئة.

أما في الفصل الثالث آخر الفصول خصصناه لمختلف المظاهر الناتجة عن هذه الأزمات وتأثيراتها الاجتماعية وأهم الانعكاسات الديمغرافية كالهجرة والوفيات ثم تطرقنا إلى ذكر مختلف الجهود المبذولة لتجاوز الأزمة المسغبة والوباء جهود بعض السلاطين ودورهم في العناية بالوضع الصحي ثم دور الفقهاء والصلحاء في أوقات المحن والشدائد وتوصلنا إلى خاتمة أهم النتائج المتحصل عليها من خلال دراسة الموضوع، وفي الختام أرفقنا الدراسة بملاحق وفهرس التي يحتاجها الموضوع ثم قائمة المصادر والمراجع.

5- الصعوبات:

لقد واجهتنا في دراستنا صعوبات أهمها:

1- قلة المادة المصدرية التي تناولت موضوع المجاعات والأوبئة في المغرب الأقصى مما صعب علينا دراسة نواحي كثيرة من الموضوع.

2- صعوبة الحصول على بعض المراجع المتخصصة التي تدرس موضوع البحث لعدم توفرها على شبكة الانترنت مع استحالة السفر إليها.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة المرينية (7 هـ إلى 9 هـ)

المبحث الأول: الأوضاع السياسية للدولة المرينية

1- أصل بني مرين:

يرجع جميع المؤرخين والنسابة أصل وجذور بني مرين إلى مجموعة قبائل زناتة البربرية وذلك لقولهم أن بني مرين فخذ من زناتة[1]، ويعتبر بنو مرين أنفسهم أعلى قبائل زناتة حسبا وأشرفها نسبا[2]، إذ يرجعون جذورهم القبلية إلى أصول عربية [3]، وتأكيدا على ذلك يرجع البعض نسبهم إلى الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (35-40هـ/656-661 م)[4]، وهو أمر يبين مدى إدراكهم لأهمية النسب والأصول في النواحي القبلية والاجتماعية والسياسية، أما قبائل بني مرين فكثيرة منها بنو عبد الحق، وبنو عسكر، وبنو وطاس، وبنو الكاس، وبنو يابان، وبنو فودود، وبنو يرنيان[5].

لم تكن لقبيلة بني مرين رقعة جغرافية محددة تقيم فيها شأنها في ذلك شأن البدو والرحل، الذين وصفهم ابن خلدون بالمتوحشين الذين ليس لهم وطن يرتافون منه ولا بلدا يجنحون إليه، فنسبة الأقطار والمواطن إليهم على السواء، فلهذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاورهم من البلاد ولا يقفون عند حدود أفقهم بل يظفرون إلى الاقاليم البعيدة[6] .

---

[1]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ط2، 1972، ص: 14

[2]- المصدر نفسه، ص: 13 .

[3]- ابن خلدون، المقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د ط، د ت، ص: 132 .

[4]- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل (ت 810 هـ/1407 م) روضة النسرين دولة بني مرين، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، د ط، 1962 م، ص: 80 .

[5]- المصدر نفسه، ص: 11.

[6]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 176 .

وكانت طائفة منهم تقوم في فصلي الربيع والصيف بإغارة على التلال الشرقية لبلاد المغرب الأقصى حتى إذ اقبل الشتاء اجتمعوا بأكرسيف[1]، ثم شدوا الرحال إلى مناطقهم الأولى[2]، واستخدم المرينيون أنذاك حصن تزوطة[3]، لحفظ أمتعتهم وحبوبهم الأمر الذي مكنهم من التنقل في الصحراء بكل طمأنينة[4]، بعيدا عن السلطة المركزية ومغارمها وإتاوتها، فلم يؤدوا لها بدرهم ولا دينار[5].

لم تخضع قبيلة بني مرين لنفوذ الموحدين فأثاروا الهجرة الى الصحراء جنوبا على عكس أبناء ات عمومتهم بني زيان، وبني وطاس، ولكنهم بالمقابل لم يقفوا على حياد الأحداث السياسية والقبلية التي شهدها المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين بل كانوا من القبائل الناشطة ذات فعالية في أحداث التاريخ، فقد نشأ جدهم الأكبر مرين بن ورتاجن بن مخوخ الزناتي في موقع قيادي، وأهلته شخصيته القوية والجادة لتبوء ذلك[6]، وعندنا تزعم قبيلة بني مرين الأمير الأعذر بن عافية المريني الملقب بالمخضب[7]، قام بغارات بغارات واسعة النطاق ضد قبيلة لمتونة (المرابطين) فملك جميع بوادي زناتة بالمغرب وبلاد

---

[1]- أكرسيف : مدينة صغيرة في المغرب الأقصى بينها وبين فاس خمسة أيام وبينها وبين تلمسان خمسة أيام أيضا : ينظر : الحموي شهاب الدين، معجم البلدان، ج1، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1997، ص: 193 .

[2]- ابن أبي زرع، الذخيرة، ص: 25 .

[3]- حصن تزوطة : هو حصن منبع يقع في المنطقة الفاصلة بين بلاد الريف شمال شرق المغرب الاقصى وصحراء المغرب الأوسط: ينظر : الزركلي خير الدين، الأعلام، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1997م، ص: 282 .

[4]- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام المعجم والبربر وما عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الإعلامي، بيروت، (د.ط)، 1971م، ج 5، ص: 217 .

[5]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص: 142 .

[6]- الغنيمي، موسوعة، ج 5، ص: 199 .

[7]- ابن الأحمر، الروضة، ص: 13 .

الـزاب فضـرب الطبـول ونشـر البنـود وظـل يغـير علـى بـلاد لمتونـة[1]، وبجايـة وقلعـة[2]، ممـا اضـطرهم الى مهاداتـه ومصـانعته ليـأمنوا شـره[3]، اسـتمر ذلـك حـتى فـتح عبـد المـؤمن بـن علـي الموحـدي (558 هـ /1163 م) فعنـدما قـام عبـد المـؤمن بإرسـال الغنـائم الـتي حصـل عليهـا مـن هـذا الفـتح إلى جبـل تينمـل أسـرع المخضـب خمسـمائة فـارس مـن بـني مـرين للإسـتيلاء علـى الغنـائم والأمـوال متجهـة هنـاك، ولكنـه مـا لبـث أن قتـل في فحـص مسـون[4]، سـنة (450هـ (450هـ /1145 م) خـلال المعركـة مـع القـوة الموحديـة المرافقـة للغنـائم بقيـادة الشـيخ عبـد الحـق بـن معـاذ الزنـاتي[5]، وتـولى بعـده الأمـير حمامـة بـن محمـد المـريني، ولمـا مـات خلفـه ابنـه أبـو بكـر (561 هـ / 1165 م) ومـن ثم ابنـه الأمـير محيـو[6]، الـذي شـهد معركـة الأرك في (591 هـ/1195م) مـع الخليفـة الموحـدي يعقـوب المنصـور متطوعـا في عسـكر مـن زناتـة فـأبلى فيهـا بـلاءا حسـنا وتـوفي في أثرهـا سـنة (592 هـ/1196م)[7]، تـوافرت مجموعـة مـن العوامـل الـتي شـجعت بـني مـرين علـى التوغـل داخـل حـدود المغـرب الأقصـى، فقـد أدى ذلـك الفـراغ السياسـي و العسـكري وسـوء أحـوال الدولـة الموحديـة الـذي نـتج بعـد معركـة العقـاب ومـن ثم مـوت خليفتهـا الرابـع أبـو محمـد الناصـر في سـنة (610هـ/1513م)[8]، بالإضـافة إلى إلى ذلـك خلـف الناصـر المهـزوم ابنـه الطفـل يوسـف المنتصـر (610هـ-620هـ/1213-

[1]- لمتونة : بلاد لمتونة تعرف لدى الإدريسي (560هـ/1164م) باسم أرض قمنورية الممتدة على طريق تجارة أهل أغمات وسلجماسة ودرعة : ينظر : الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، ج1، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989، ص: 90 .

[2]- قلعة بني حماد : بناها حماد بن بلقين، وتقع بالقرب من بجاية بالمغرب الأوسط : ينظر : الإدريسي، المصدر نفسه، ص: 261 .

[3]- ابن أبي زرع، الذخيرة، المصدر السابق، ص: 20 .

[4]- فحص مسون : منطقة منبسطة على ضفاف نهر ملوية بالمغرب الأوسط : ينظر : ابن الأحمر، الروضة، ص: 13 .

[5]- ابن أبي زرع، الذخيرة، المصدر السابق، ص: 20 .

[6]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 13 .

[7]-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 23 .

[8]- ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص: 169 .

1223م) الذي لم يحسن التصرف، وليس أقل من ذلك الخطر الوباء العظيم الذي هلك الناس حتى خلت البلاد من أهلها[1]، مما جعل الظروف مهيأة تماما لدخول بني مرين المغرب الأقصى وبحلول سنة (610هـ/1213م) دخلت أول طلائع المرينيين بلاد المغرب الأقصى دون أن يواجهوا أي اعتراض من أحد، بل وجدوا أرضا طيبة المنبت خصبة المرعى غزيرة الماء فبعث هؤلاء إلى ما بقى من حولهم فأقبلوا مسرعين[2]، وتزعم المرينيين عند دخولهم المغرب الأقصى الأمير عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة[3]، بعد أن اختاره أشباح بن مرين اثر وفاة والده (592هـ/1196م)، وارتبط اسم الدولة باسمه فقيل الدولة العبد حقية[4]، وخاصة أنه أول من نقل بني مرين من البداوة إلى مرحلة التفكر في بناء الدولة .

2- مراحل سيطرة المرينيين على مدن وأراضي المغرب الاقصى :

لما تعاقب على رئاسة بني مرين قبل دخولهم المغرب الأقصى أمراء كثيرون، أولهم محمد بن وزير بن فجوس بن كرماط بن مريض " ... وقد كان له سبعة أولاد وكانت الرئاسة لولده حمامة ثم انتقلت لولده عسكر ..." [5]، ثم ألت الإمارة لولده الأعذر بن العافية، حكم جميع بطون زناتة على عهد المرابطين (411هـ -541هـ/1056-1147م) بالمغرب الأدنى من بلاد الزاب إلى مدينة تلمسان، فظل على هذه المكانة حتى إصطدم بقوة الموحدين في فحص مسون في شهر جمادى الأخر من سنة 540هـ /1145م [6]، حيث قتل وحمل رأسه إلى عبد المؤمن بن علي الموحدي (524هـ-

---

[1]- الناصري أبو العباس، أحمد بن خالد السيلاوي (1315هـ/1897م) الإستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، ج3، تح، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء، د ط، 1997م، ص: 4 .

[2]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص: 24 .

[3]- ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص: 169 .

[4]- ابن أبي زرع، الذخيرة، المصدر السابق، ص: 24 .

[5]- المصدر نفسه، ص: 20 .

[6]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 14 .

1139/558-1163م)، فتولى الإمارة من بعده أبو بكر بن حمامة بن علي بن مرين، وإستمر حكمه حتى توفي (561هـ/1165م) ثم تولى بعده إمارة زناتة ولده محيو بن أبي بكر بن حمامة وفي عهده نشط المرينيون وشاركوا في أحداث سياسية وعسكرية التي كانت يعيشها الموحدين، في ذلك الوقت « ... فما إن دعاهم المنصور يعقوب بن يوسف وإستفزهم إلى خروج بما عندهم من رجال وسلاح للمشاركة معهم في غزو الأرك الكبرى التي جرت أحداث وقائعها في بلاد الأندلس حتى لبى المرينيين نداءه وكان ذلك في سنة (591هـ/1196م)... »[1].

وعمد المنصور الموحدي إلى أمير محيو بن أبي بكر المريني الذي كان محبوبا مطاعا في قومه فأسند إليه قيادة المتطوعين من قبائل بني مرين وقبائل زناتة كلها... وقد أبلى الأمير محيو ومن معه من رجال بني مرين، بلاء حسنا في هذه المعركة وأصيب بجروح أثقلته، فعاد إلى بلاده من الغزوة وإشتدت عليه جروحاته فمات شهيدا ثم إنتقل الحكم بعده إلى ولده عبد الحق بن محيو وكانت إمارته بالمغرب، أغار فيها على جميع بوادي المغرب وضيق على الموحدين فشكى الناس إلى الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف الثاني الملقب بالمنتصر بالله فتهيأ الموحدون لمواجهة المرينيين فلما سمع المرينيون بذلك استعدوا لقتالهم «...والتقى الجمعان بالقرب من وادي نكور فمنيت قوة الموحدين بهزيمة منكرة واضطر الموحدون للرجوع إلى مدينة فاس ... »[2].

واستمر بنو مرين في التقدم على حساب الموحدين أحرزوا الانتصار تلو الأخر، ولكن حالهم لم تتسم على هذا الوفاق والتفاهم حيث لم يلبث أن دبت الفتنة والفرقة في صفوفهم، فخرج بنو عسكر بن محمد بن علي بني عمومتهم بنو حمامة كاحتجاج على

[1]- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م-869هـ/1465م)، دار الحكم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1987، ص: 7.

[2]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص: 28

استئثارهم واتجهوا إلى محالفة الموحدين وقبائل رياح العربية وهي يومئذ «أقوى قبائل عرب المغرب وأشجعها، وأكثرها خيلا وأموالا ورجالا»[1] .

ففي سنة 614هـ/1216م التقى الجمعان بالقرب من وادي سبو وبعد معركة دموية قتل فيها أمير بن مرين عبد الحق وكبير أبنائه إدريس، حيث تمكن بنو مرين من حسم الموقف لصالحهم، وألحقوا بأعدائهم هزيمة كبيرة وبايعوا عثمان بن عبد الحق أمير عليهم استغل الأمير أبو سعيد العثمان بن عبد الحق حالة الفوضى والانقلاب الأمني والقبلي السائد، وضعف السلطة المركزية في المغرب الأقصى من أجل فرض سيطرته على أجزاءه فتوجه الأمير المريني على رأس قوة مقاتلة إلى القرى والمدن والبوادي، فمن أطاعه منهم أمنه وفرض عليه قدرا معلوما من الخراج ومن أبي قائلة "... فبايعه كل من قبيلة غوارى، وتسول، ومكناسة، وبطوية، وقشتالة، ثم سدراته، وبهلولة، ومديونة، وفرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال كما فرض على فاس ومكناسة وتازة وقصر كتامة[2]، ضريبة معلومة يؤدونها كل سنة مقابل كف الغارات عنهم ومقابل اعترافهم بنفوذهم السياسي[3].

ونتيجة لهذا النجاح السياسي والعسكري الذي حققه المرينيون في مواجهة الخليفة الموحدي الرشيد "...فقد سيطروا على سهول شمال مراكز ووادي سبو، ولم تكد تنتهي سنة 625هـ /1228م حتى خضعت جميع قبائل وبوادي المغرب بقبيلة بني مرين من وادي ملوية حتى رباط الفتح ..." [4]، وبعدها انتزع حصون ملوية ثم سيطر على فاس سنة 646 هـ/1248م وبعد موت أبي الحسن السعيد المقتدر بالله المعروف بالسعيد الموحدي 640هـ-1242/646م-1248 صاحب مراكش بشهرين سيطر على سلا والرباط

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د ط، 1972، ص: 286 .

[2]- كتامة : مدينة تقع غرب مكناسة بثلاثة مراحل : ينظر : عبد المنعم الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، د س ن، ص: 446 .

[3]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 170.

[4]- ابن أبي زرع، الذخيرة، المصدر السابق، ص: 37.

بفتح سنة 649هـ /1251م، وقاتل مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن ابن زيان 663هـ-681 /1235م-1282 ثم سيطر الأمير أبو بكر على سلجماسة وبعدها دخل الحرب مع الخليفة الموحدي أبي حفص عمر الملقب بالمرتضي 646هـ-665 /1242م-1266 فاستولى على بلاد تادلة وسلجماسة ودرعة [1]، التي سقطت في قبضتهم سنة 655هـ /1257 م ثم توفي الأمير سنة 656هـ/1258م، ولما توفي أبو بكر قام عامله على سلجماسة يحي قطراني بالتمرد والدعوة لنفسه فبايعه أهلها وإستمر ذلك لمدة سنتين الى أن قتل سنة 658هـ/1260م في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق 656هـ-680 /1258م -1286 يتضح خلال هذه المرحلة «...أن بني مرين قد بسطوا نفوذهم على بلاد المغرب في حين انحصر ملك الموحدين في عاصمتهم، مراكش ... »[2].

وبعد موت الأمير أبو بكر «... عصف بالمرينيين خلاف حاد بين العامة من جهة والخاصة من المشيخة وأهل الحل والعقد من جهة أخرى على ولاية العهد، حيث قام العامة بمبايعة ابنه أبي حفص عمر 658هـ/1260م ونصبوه أميرا عليهم، أما الخاصة فمالوا لتنصيب عمه يعقوب بن عبد الحق أمير... »[3] ، ويعكس ذلك التنافس الذي كان يسود الأوساط المرينية من أجل تولي السلطة، وكادت الأمور تصل إلى حد الحرب الأهلية بين أشباع كل من الطرفين «...إلا أن حرص يعقوب بن عبد الحق على وحدة الصف دفعة للتنازل عن السلطة لابن أخيه على أن يكون له البلاد التي قطعها إياه أخوه أبو بكر وهي بلاد تازة ومطوية وملوية وهي خطوة تتم على رجاحة عقله وإيمانه بوحدة الصف المريني»[4].

---

[1]- درعة: وهي واد يسمى واد درعة بالمغرب قريب من سلجماسة ومنها طريق في صحراء، إلى بلاد السودان : ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 606 .

[2]- ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص: 177.

[3]- المصدر نفسه، ص: 177.

[4]- الناصري، ج3، المصدر السابق، ص: 19.

لم تستقر الأمور المرينية طوال أربع شهور وظلت حالة اضطراب واضحة، ولم تتفق الأمة على عمر بن ابي بكر نظرا لعدم قناعاتهم بكفاءته وقدرته على السير على نهج من سبقوه من أمراء مرينيين، مما دفع الأمير يعقوب وتحت ضغط مؤيديه للتوجه إلى فاس للسيطرة عليها «... ولما إلتقى الجمعان بالقرب من وادي مكس من أحواز فاس انفض جنود أبي حفص من حوله واستعصم داخل المدينة ونزل عن السلطة لصالح عمه يعقوب ودخل المدينة فملكها سنة 656 هـ /1258م ... »[1].

ونجح المرينيون بذلك في السيطرة على معظم بلاد المغرب الأقصى واتجه بعد ذلك يعقوب إلى شرق فعقد الصلح مع يغمراسن بن زيان فقد شكل ذلك الاعتراف من جانب الموحدين وبني زيان ببني مرين[2]، في الوقت الذي عمل فيه السلطان يعقوب ابن عبد الحق على توسيع نفوذه "...واجهته بعض الثورات الداخلية، أهمها ثورة أبناء إدريس ابن عبد الحق المريني ..." الذين شعروا أنهم أحق بالملك من يعقوب «...فخرجوا على عمهم السلطان سنة 658هـ/1260م واجتمعوا إلى كبيرهم محمد بن إدريس واعتصموا بجبال غمارة شمال المغرب الأقصى ولكن السلطان عاملهم بلطف واسترضاهم ...»[3] .

وفي السنة ذاتها أبناء أبي بكر بن عبد الحق إبراهيم وأبو مظهر ومن شايعهم بغمارة فصالحهم يعقوب بن عبد الحق وأقطعهم بعض الأراضي الصحراوية [4]، ولما فرغ يعقوب من ذلك عقد العزم على مواجهة مراكش فاستجمع قواه سنة 660هـ/1262م وسار حتى وصل إلى جبل إجليز المشرف على مراكش وبالمقابل قام الخليفة الموحدي المرتضي بتنصيب أبي دبوس إدريس بن محمد بن عبد المؤمن 668هـ/1269 م قائدا عاما للجيش الموحدي «... الذي انظم إليه كبار الشيوخ الموحدين وسائر العرب جشم من

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 89.

[2]- الناصري، المصدر السابق، ص: 23.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص: 178.

[4]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص: 93.

الخلط والأثيج وسفيان وبني جابر والروم ... »[1]، فدارت حرب ضروس بين الطرفين على ضفاف وادي أم الربيع كانت الغلبة فيها للمرينيين وسميت هذه الواقعة بأم الرجلين[2].

تركت هزيمة الموحدين في معركة أم الرجلين أثار نفسية وعسكرية عظيمة على سكان العاصمة مراكش إذ خشي القوم أن يقوم بنو مرين بمهاجمتها خاصة وأنها تركت دون حماية عسكرية كافية، وألحق أبو الدبوس بالأمير يعقوب في فاس 663هـ/1265م وطلب منه إمداده بالمال والسلاح والجند ليقوم بفتح مراكش على أن يشركه في الغنيمة، فاستجاب السلطان وأمده بخمسة ألاف من بني مرين «...وسار أبو دبوس سنة 665هـ/1267م في جيش جرار باتجاه مراكش فوصل إلى أبوابها فحرض أتباعه وأشياعه الموحدين في داخلها للثورة، فتم له ذلك وهرب المرتضي إلى أزمور تادلة على ظهره ابن عطوش الذي قام بقتله فيما بعد، ودخل أبو دبوس مراكش واستقل بالحكم فيها وتلقب بالواثق بالله ...»[3].

ولما علم السلطان يعقوب بذلك بعث إليه رسولا يهنئه بالفتح ويطلب منه الوفاء بالعهد الذي كان بينهما فلما وصل الرسول فقرأ ما في الكتاب «...استنكف وعنا ونقض العهد وأساء الخطاب ...»[4]، وقال له ما بيني وبينه عهد إلا السيف، ارجع إليه وأمره أن يبعث لي بيعته وأقره على ما بيده من بلاد، فإن بادر إلى البيعة وسارع إلى الخدمة فهو خير له في الدنيا والأخرة وإن امتنع عن ذلك غزوته بجلود لا قبل له بها «...وكتب له بذلك خطابا يخاطبه فيه مخاطبة الخلفاء إلى عمالهم، فلما وصل الرسول والكتاب إلى السلطان يعقوب أدرك خبث نوايا أبو دبوس ودره ...»[5].

---

[1]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص: 93.

[2]- أم الرجلين: سميت كذلك لخصوبة الموقع الجغرافي الذي دارت فيه، حيث دارت على ضفاف وادي أم الربيع في منطقة تكثر فيها الجزر والمفارز، ويخترقها وادي وفروعه الصغيرة فيما يشبه الأرجل : ينظر : ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 96 .

[3]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 179.

[4]- المصدر نفسه، ص: 180.

[5]- ابن أبي زرع، الذخيرة، المصدر السابق، ص: 111.

وبعث له طلبا أخر للدخول في طاعته والالتزام بما تم الاتفاق عليه، ولكنه اضطر الأمير يعقوب لمواجهته في وادي تلاغ في سنة 666هـ/1267 وبعد فترة اشتبكت القوتان وكان من نتائج المعركة مقتل أبي دبوس سنة 667هـ فدخل الأمير يعقوب مراكش في شهر محرم من سنة 668هـ وبذلك انتهت دولة الموحدين بالمغرب كما انتهت بالأندلس، وبهذا يعد السلطان يعقوب المؤسس الحقيقي للدولة المرينية والذي إتخذ مدينة فاس عاصمة لهم وتلقب بأمير المسلمين على غرار المرابطين وهو أول ملوك بني مرين من فكر في الجهاد وعبور المضيق للغزو في الأندلس.

دور السلطان يعقوب بن عبد الحق في إستكمال فتح بلاد المغرب الأقصى وتوطيد أركان الدولة المرينية:

بعد أن سقطت مدينة مراكش عاصمة الدولة الموحدية ودانت بلاد المغرب لبني مرين قام السلطان يعقوب بن عبد الحق بمجهود كبير من أجل تثبيت دعائم دولته وفرض سيطرته على كافة الأقاليم والتصدي للفتن والثورات "...مكث السلطان يعقوب في مراكش بعد فتح حتى برمضان من سنة 669هـ/1271م من أجل العمل على استتباب الأمن فيها وإصلاح شؤونها واستقبال التهاني[1]، وأرسل خلال ذلك ابنه الأمير أبا مالك عبد الواحد إلى بلاد السوس الأقصى بغزو من بها من الثوار والقبائل فسار إليها في جيش من بني مرين ففتحت تلك البلاد كلها من نهر ماسة إلى البحر المحيط وقدم عليه زعمائها طائعين[2].

وفي أوائل رمضان من سنة 669هـ/1271م خرج السلطان يعقوب بنفسه من مراكش لتأديب العرب القاطنين ببلاد درعة، فحاصرهم وعمل فيهم قتلا وأسيرا

[1]- ابن أبي زرع، الذخيرة، المصدر السابق، ص ص: 118-119.

[2]- ابن أبي زرع، الأنيس، ص 307، الذخيرة، ص ص: 118-119، ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 182، الناصري، الإستقصا، ج3، ص: 27 .

وأطاعوه[1]، وبذلك فرض السلطان سيطرته على جميع بلاد درعة وملك حصونها ومعاقلها وفرض عليهم أعمال[2].

وفي شوال من سنة 669هـ/1271م عاد السلطان يعقوب إلى فاس بعد أن عقد على مراكش محمد بن علي بن يحي من كبار رجاله[3]، وكان قبلها قد أخذ البيعة لولده الأمير أبا مالك عبد الواحد (671هـ-1272م) خلال تواجده في رباط الفتح من ذي القعدة من السنة الأنفة الذكر[4]،فعظم ذلك على أبناء عمه من بني عبد الحق وموسى بن رحو بن عبد الحق أولاد سوق النساء وتمردوا على الدولة فخرج السلطان يعقوب لقمع هذا التمرد في جيش من خمسة الاف فارس بقيادة ولده الأمير يوسف فحاصرهم ثم قدم إليه أخوه الأمير عبد الواحد و خمسة ألاف فارس أخرى واستمر الحصار إلى أن طلبوا الأمان فعفى عنهم على أن يخرجوا إلى تلمسان ومن ثم جازوا إلى الأندلس.[5]

قرر السلطان يعقوب غزو تلمسان بسبب شعوره بأن الجهة الشرقية في وضع ليس بالأمن من خطر بنو زيان فبعث ولده الأمير عبد الواحد إلى مراكش لحشد الجيوش من القبائل العربية من مرين والمصامدة وغمارة ومنها جنود الترك والأندلسيين النصارى[6]، فلما تكاملت الاستعدادات خرج الجيش المريني من فاس حتى نزلوا بوادي ملوية ثم سار باتجاه تلمسان «...إلا أن السلطان المريني اضطر إلى طلب الصلح من يغمراسن بن زيان التلمساني للتفرغ لمواجهة الخطر النصراني في الأندلس بعد الاستغاثة العاجلة التي وصلت

[1]- ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص: 182.
[2]- ابن أبي زرع، الأنيس، ص: 307.
[3]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 182.
[4]- ابن أبي زرع، الانيس، ص: 308 .
[5]- ابن أبي زرع، الذخيرة، ص: 125.
[6]- المصدر نفسه، ص: 129.

من هناك ولكن تلمسان رفضت ذلك بشدة ...»[1]، مما مهد الطريق نحو مواجهة فالتقى الجيشان في وادي ايسلي على مقربة من وجدة «...فقام السلطان يعقوب بتوزيع المهام على قادة الوحدات والقبائل وجعل الأمير أبا مالك عبد الواحد على ميمنته ولده الأخر الأمير يوسف على مسيرته...»[2]، وزع الرايات على رؤساء القبائل وجعل حراسته الخاصة لقبيلة فودود إضافة إلى جنود الأندلسيين، الذين كانوا يخدمون الجيش المريني، فدارت المعركة في رجب سنة 670هـ/1272 م وهزم الجيش الزياني وقتل فارس بن يغمراسن ونزلوا بظاهر تلمسان وحاصروها[3]، فاضطر الفقيه أبو القاسم العزفي على عقد مصالحة مع الأمير يوسف مقابل ضريبة سنوية معلومة[4]، وبذلك أصبحت تلمسان تحت السيطرة المرينية .

يصف ابن خلدون الوضع فيقول «...ولما فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب وانتظمت أنصاره ومعاقله في طاعته وغلب بني عبد المؤمن الموحدين على دار خلافته وافتتح طنجة وطوع سبتة مرفأ الجواز إلى العدوة وثغر المغرب سما أمله إلى بلاد القبلة فوجه عزمه إلى إفتتاح سجلماسة... »[5]، التي كانت بيد يغمراسن بن زيان وعرب المنبات من ذوي المنصور وقد خرج السلطان يعقوب باتجاههما في شوال سنة 672هـ /1274 م[6] .

.

[1]- الناصري، المصدر السابق، ص: 132.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 184.

[3]- ابن أبي زرع، الذخيرة، المصدر السابق، ص ص: 130-133.

[4]- المصدر نفسه، ص ص: 137-138.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 188 .

[6]- الناصري، الاستقصا، ج2، ص: 36 .

قامت القوات المرينية بمحاصرة المدينة والشروع في منابذتها والقتال ودك حصونها وأسوارها بالات الحرب مما أدى إلى تهدم معظم أسوارها الامر الذي أتاح عملية اقتحامها وقتل قائدها عبد الملك العبد وادي ومن كان حوله من جماعته ولما دخلها يعقوب عفا عن أهلها وأمنهم على ممتلكاتهم وقام بتعيين عماله في سنة ربيع الأول 673هـ /1274م[1]، وبسقوط سلجماسة اكمل يعقوب سيطرته على جميع أراضي المغرب الأقصى من وادي ملوية شرقا حتى الاطلسي غربا ومن البحر المتوسط شمالا حتى سلجماسة جنوبا[2] .

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس، ص: 312

[2]- العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د ط، د س ن، ص: 207.

المبحث الثاني: الجانب الاقتصادي للدولة المرينية

1- الزراعة: اهتمت الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بالزراعة وقد أسهمت عوامل كثيرة في ازدهارها، كان في مقدمتها الموقع الجغرافي فقد تمتع المغرب بتربة خصبة صالحة للزراعة كونتها مجاري الأنهار، فساعد ذلك على زيادة الإنتاج فضلا عن وفرة القوى البشرية (الفلاحون) الذين اتخذوا الأرض مهنة لهم[1]. وقد وصف المراكشي أرض المغرب: «بأنها أخصب رقعة على الأرض فيما علمت وأكثرها أنهارا مطردة وأشجارها ملتفة وزوعا وأعنابا»[2]، وقد كان السلطان يوسف قد أمر بإلغاء الضرائب التي كان يتحملها الفلاحون[3]، ولهذا فقد عم الرخاء على عهد السلطان يوسف مما أدى ذلك إلى ارتفاع إنتاج المواد الأساسية.[4]

أما بالنسبة للنظام الزراعي بالمغرب فقد تنوع بسبب طبيعة الأرض وطبيعة استغلالها[5]، واشتهرت كذلك بعض القبائل التي سكنت أرياف سلا ومكانس بزراعة المنطقة بنفسهم، أما الآخرون من الفلاحين فقد كانوا يعتمدون على كراء الأرض ومنتوجاتها يعطي مناصفة بين الدول والمزارعين، أما العاملين بزراعة الأرض فكانوا يتبعون "ظاهرة الخماس" نسبة إلى الخمس الذي تقع عليه خدمة الأرض ابتداء من الحراثة حتى نقل المحصول إلى مكان الخزن.[6]

---

[1]- الخالدي، ونس السمين محمد أمين: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة فاس على عهد بني مرين 668-869 هـ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد (2002)، ص: 176.

[2]- المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد علي التميمي (625 هـ- 1227م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، نخبة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1973، ص: 444.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ص: 347- 348.

[4]- ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص: 48.

[5]- ابن خلدون، العبر، ص: 171.

[6]- نفسه، ص: 171.

أ- العوامل البشرية:

ساهمت بشكل كبير في ازدهار الزراعة بتعلق الفلاحين بالأرض، حيث كان هناك بعض الفلاحين الذين بلغوا الثمانين أو جاوزوها لا يزالون يحرثون الأرض[1]، وما نستنتجه هو أن الأرض كانت موردا للناس، بحيث حظيت باهتمام البالغين في العمر إذ كانوا يزاولون الأرض ويشتغلون فيها فنتج عن ذلك إنتاج محاصيل زراعية كثيرة وهذا عامل أدى إلى تطور الزراعة.

كذلك الأمن والاستقرار التي شهدته الدولة المرينية، حيث ساهم بشكل كبير في ازدهار الزراعة عرف انتعاش خاصة زراعة الفواكه.

بإضافة إلى سياسة الضريبية التي تميزت باعتدالها، حيث قام السلطان أبو الحسن بالإصلاح الجبائي وألغى كل الضرائب غير الشرعية عن الفلاحين وعين لجباية الضرائب موظفين موثوق بهم. [2]

ب- أنواع الأراضي الزراعية:

كانت أراضي الدولة على عهد يوسف مقسمة إلى عدة أصناف أهمها:

- أراضي الدولة: تعد أراضي الدولة من أهم أصناف الأراضي، إذ حظيت باهتمام السلطان ومثال عن هذه الأراضي "بستان المصادرة بفاس سنة 686هـ/1286م.[3]

حيث اعتنى بهذا البستان يوسف ووفر له كل ما يستلزم من أمور الزراعة ومياه وغير ذلك، كانت منتوجاته تعد موردا مهما لمدينة فاس لاسيما أشجار زيتون. [4]

---

[1]- الحسن محمد الفاسي الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد بحي الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983م، ج2، ص: 82.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، تطور الفلاحة في مكناس من عصر المرابطين إلى أواخر العصر المريني، مجلة المناهل، ع38، دار المناهل للطباعة والنشر، الرباط، 1989م، ص: 219.

[3]- الناصري، المصدر السابق، ص: 89.

[4]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 407.

– **أراضـــي الإقطـــاع**: وهـــي الأراضـــي الـــتي كانـــت تمـــنح مـــن الضـــياع الســـلطانية للشخصـيات الكبـيرة ومـوظفي الدولـة[1]، وقـد تواجـدت أراضـي الاقطـاع بكثـرة منهـا أرض القصـر الكبـير وأعمالـه لأبي إسـحاق أبي الحسـن، إشـقيلولة صـاحب وادي أش الـتي منحهـا السلطان وسف بن يعقوب لهم قطعة وبقيت متوارثة لهم إلى غاية سقوط الدولة.[2]

وكـان الإقطـاع علـى أنـواع: فمنـه إقطـاع تمليـك وقـد تكـون ملكيـة دائمـة مـدى الحيـاة أو لفـترة محـدودة، ومنـه إقطـاع الاسـتغلال[3]، فقـد أخـذت مسـألة الإقطـاع حيـزا مهمـا في المناقشـات الفقهيـة المتعلقـة بموضـوع ملكيـة الأرض[4]، ويـذكر الونشريسـي أن الإقطـاع في المغـرب كـان إمـا إقطـاع تمليـك أو إقطـاع منفعـة، فإقطـاع التمليـك هـو أن تصـبح الأرض المقطعة ملكا للمقطع. [5]

– **أراضـــي الوقـــف**: اهـتم سـلاطين بـني مـرين بأراضـي الأوقـاف وعلـى رأسـهم السـلطان أبـو يوسـف، حيـث أولى اهتمامـا كبـيرا الأراضـي الأحبـاس الـتي انتشـرت في سـائر الـبلاد، كمـا تنوعـت أغراضـها خصوصـا بنـاء المسـاجد والزوايـا، كالزاويـة الـتي بناهـا السـلطان يوسف بن يعقوب على قبر جده عبد الحق بتافرطاست سنة (685 هـ/ 1285م).[6]

---

[1]– نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، المرجع السابق، ص: 102.

[2]– ابـن خلـدون عبـد الـرحمن، ديـوان المبتـدأ والخـبر في تـاريخ العـرب والبربـر ومـن عاصـرهم مـن ذوي السـلطان أكـبر، مـر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج7، ص: 172.

[3]– الـدوري عبـد العزيـز، نشـأة الاقطـاع في المجتمعـات الإسـلامية، مجلـة المجتمـع العلمـي، العـراق، 1870م، مـج 20، ص: 95.

[4]– محمـد فتحـة، النـوازل الفقهيـة والمجتمـع أبحـاث في تـاريخ الغـرب الإسـلامي (مـن القـرن 6 إلى 9هـ- 12- 15م)، مطبعة المعارف الجديدة، (د. ط)، الرباط، 1999م، ص: 354.

[5]– الونشريسي، المعيار، ج9، ص: 73.

[6]– القلقشـندي، صـبح الأعشـى في صـناعة الإنشـاء، مطبعـة الأميريـة، (د، ط)، القـاهرة، 1915م، ج5، ص ص: 204- 205.

– أراضي الملكية الخاصة:

تمتلك الأراضي الخاصة مجموعة من الوسائل التي كان إطارها شرعيا[1]، ويقصد به هو إما من خلال الإرث أو البيع والشراء، أو هبة من الدولة أو الإقطاع. [2]

ت– النظام الزراعي: تنوع النظام الزراعي بالمغرب الأقصى بسبب طبيعة الأرض واستغلالها، فأوضاع الفلاحين وطريقة الزراعة من العوامل المؤثرة في نوعية الإنتاج وكميته.[3]

ث– الإنتاج الفلاحي:

– الخضر والفواكه: تتوفر زراعة الخضر والفواكه في الأراضي الخصبة المجاورة للأدوية والعيون، في شكل مزارع وبساتين وجنان[4]، حيث تشير المصادر الجغرافية إلى أنواع أنواع كثيرة من الخضر منها: الخيار، اللفت، الباذنجان، القرع، اللوبيا، القرنبيط، الشمار، البصل والخص، أما الفواكه فكانت هي الأخرى منها: التمور، العنب، التين، والرمان، الخوخ، المشمش، والتفاح[5]. بالإضافة إلى البرقوق والليمون والنارنج والبطيخ الصفر والأخضر، فقد اشتهرت فاس بكثرة الفواكه وتنوعها حيث تميزت عدوة القرويين بفواكه الخريف وعدوة الأندلس بفواكه الصيف[6]، وعن هذه المحاصيل يصنف لنا ابن أبي زرع مدينة فاس بقوله: «كان بعدوة القرويين الرمان الذي ليس في المغرب مثل حلاوته، والتين

[1]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 213.

[2]– نور الدين الوردي، الوضعية العقارية للأراضي بالمغرب، جريدة المساء، ع 1993، 01 ديسمبر 2009م، ص: 20.

[3]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 213.

[4]– أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (ق 07/ 13م)، رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تح: محمد الفاسي، الفاسي، الرباط، 1986م، ص: 16.

[5]– ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار الملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار منصورة للطباعة والوراقة، الرباط، (د.ط)، 1972م، ص: 43.

[6]– عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 289.

والعنب والخوخ وسائر الفواكه الخريفية وتخص عدوة الأندلس بفواكه الصيفية كالتفاح والمشمش والتوت».[1]

– **الحبوب والمحاصيل الأخرى**: تتم زراعة الحبوب في الأراضي الخصبة السهلية منها، كسهول سبو حيث كان هذا النوع من الزراعة يحتاج إلى مساحة من الأراضي والمناخ الملائم له، ومن أهم أنواع الحبوب: القمح، الشعير الحنطة، وغيرها[2]، ومن المدن التي اشتهرت بزراعة الحبوب مدينة فاس ومنطقة دكالة وجبال الريف[3]، إلى جانب هذه المحاصيل تشير بعض المصادر الجغرافية والتاريخية إلى زراعة القطن والكتان، حيث يعدان من المحاصيل الزراعية الهامة في المغرب الأقصى خاصة في صناعة النسيجية أما زراعة قصب السكر فقد شهدت انتشارا واسعا في مدن المغرب الأقصى.[4]

– **الإنتاج الحيواني**: لقد انتشرت حرفة الرعي في معظم مناطق بلاد المغرب وذلك لوفرة المراعي وخاصة في المناطق الجبلية ومنه أهم المناطق التي انتشرت فيها هذه الحرفة جبل مطغرة وأصيلا وقصر كتامة وسلا[5]. إلى جانب هذا فقد كان سكان القرى يقومون بتربية الطيور أو بعض أنواع الدواجن من دجاج وحمام وإوز[6]، كما اهتم سكان المغرب الأقصى بتربية خلايا النحل، حيث أعانهم على ذلك كثرة ما كان بها من نباتات مزهرة ورياحين، ومن أهم المناطق إنتاجا للعسل تادلا وبلاد حاحة والسوس وذكالة، فأصبح العسل يباع عندهم بأرخص الأسعار.[7]

---

[1]– ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 105.

[2]– المصدر نفسه، ص: 105– 106.

[3]– المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، ط3، الرباط، 2000م، ص: 111.

[4]– لسان الدين ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح: السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، 1989م، ص: 67.

[5]– لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليقي بروفتاك، دار الكشوف، ط2، بيروت، 1956م، ص: 100.

[6]– القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص: 113– 177.

[7]– ابن حوقل أبي القاسم النصير، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992م، ص: 75.

2- النشاط الصناعي:

أ- الصناعة النباتية والحيوانية:

- **الصناعة الغذائية**: اشتهرت صناعة عصر الزيتون في العصر المريني لاستخراج الزيت، نتيجة كثرت غابات الزيتون. [1]

فقد اشتهرت فاس بهذه الصناعة لقربها من غابات الزيتون، في شمال المدينة إلى نهر سبو ثم إلى نهر روغة وحتى فيما وراء ذلك إلى سفوح الجبال التي تطل على البحر المتوسط. [2]

كما اشتهرت مراكش بغابات الزيتون وعصرها للزيت[3]، وكذا مدينة مكناسة التي يعتبر زيتها أجود الزيوت المغرب كله. [4]

ومن الصناعات التي تدخل ضمن الصناعة الغذائية صناعة السكر التي انتعشت في المناطق التي توجد فيها زراعة قصب السكر في سلا ومراكش، ففي هذه المراكز كان يعصر قصب السكر ويصنع منه القنب، ومن هذا الأخير يكون السكر على أنواع ففي مراكش وحدها كان يوجد 40 معملا لتصفية السكر. [5]

---

[1]- عمر بلبشير، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى 9 هـ/ 12 إلى 15م من خلال كتاب المعيار الونشريسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار كلية علوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2010، ص: 217.

[2]- لوتورنو روجيه، فاس في عصر بني مرين، تر: نقولا زيادة، مكتبة لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1967م، ص: 223.

[3]- ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص: 163.

[4]- روان بن اللموشي، فاطمة بن ناجي، الحياة الاقتصادية في الدولة المرينية (688- 896هـ/ 1236- 1514م)، مذكرة مكملة لمتطلبات لحصول على شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علوم إنسانية، 2008، ص: 49.

[5]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 285.

– حرفة النسيج: عرفة صناعة النسيج تطورا كبيرا على الرغم من منافسة المنسوجات المسيحية لها[1]، حيث تعد من أهم الصناعات ارتباطا بالحياة اليومية[2]. نظرا لكثرة مزارع القطن المتواجدة في أغلب مدن مغرب الأقصى مثل أم الربيع[3]، ومنطقة تادلا وكثرت معامل النسيج، ففي فاس وحدها وجدت ثلاثة ألاف وأربعة وتسعون معملا للنسيج.[4]

حيث وصف مؤلف الاستبصار أقمشة سكانها بأن لا مثيل لها في جودة والدقة، واشتهرت مدينة سبتة بكونها هي المزودة للمدن بالزرابي المصنوعة من الصوف والكتان الأحزمة المطرزة[5]، كما حظيت المنسوجات الكتانية بنصيب وافر من الاهتمام، نظرا لكثرة لكثرة مزارعه ببلاد المغرب الأقصى. [6]

وكذلك عرفت صناعة الخز وهو نسيج من الصوف والحرير، يصنع منها ملابس مثل: قلنسوة الخز وجبة الخز. [7]

– الصناعة الجلدية: ارتبطت هذه الصناعة بحرفة الدباغة، بحيث كان الدباغون يجلبون الجلود من الجزارين المنتشرين في المغرب الأقصى وعملية الدباغة تعني معالجة الجلود

---

[1]– محمد شريف، سبتة الإسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي (عصر الموحدين والمرينيين)، منشورات جمعية تطاون، ط2، الرباط، 2006م، ص: 51.

[2]– عمر بلبشير، المرجع السابق، ص: 216.

[3]– الإدريسي، المصدر السابق، ص: 237.

[4]– علي الجزنائي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ط 2، ص: 150.

[5]– محمد الشريف، المرجع السابق، ص: 52.

[6]– روجيه، المرجع السابق، ص: 132.

[7]– عبد الكريم جودت، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب خلال القرنيين الثالث والرابع الهجرين (10/9م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص: 93.

بإصلاحها وتليينها وإزالة ما يفسدها من عفونة ورطوبة مثل مادة الجير أو مادة أخرى مثل زبل الحمام.[1]

كانت مهنة الدباغة من المهن المستهجنة بنظر الناس وذلك نتيجة للرائحة المتصلة بهذه الصنعة[2]، وكان أصحاب هذه الحرفة يعدون الجلود للصنع وكانت من جلود الخرفان والماعز والأبقار وجلود الغزلان والجمال، وقد تطورت بعض الحرف المتصلة بالدباغة والجلود مثل: مجلد والكتب وصناعة الأحذية الجلدية.[3]

ب- الصناعة الحربية والمعدنية:

- الصناعة الحربية: اهتم سلاطين بني مرين بالصناعة الحربية[4]، لمواجهة الأخطار التي تهددهم من حدودهم الشمالية والغربية المعرضة للاعتداءات الخارجية من الممالك الاسبانية[5]، فكان المرينيون يملكون ترسانة قوية لصناعة الأسلحة لجيوشهم بحيث يعتبر هم أول من استعمل البارود في صناعة المدفعة على يد السلطان يوسف سنة (682هـ/ 1283م) [6]. كما صنعوا المجانيق القاذفة بالحجارة والنار[7]، وصناعة السيوف

---

[1]- روان بل موشي، الحياة الاقتصادية لدولة بني مرين (668- 869 هـ/ 1236- 1514م)، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الانسانية، (1438- 1439هـ/ 2017- 2018م)، ص: 51.

[2]- الدوري عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 1995م، ص: 131.

[3]- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي، المعراب المعرب وجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1981م، ج5، ص: 253.

[4]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 268.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 123.

[6]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 268.

[7]- نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرج، المرجع السابق، ص: 106.

السيوف والرماح والآلات التي تستعمل في عملية الحصار[1]، بالإضافة إلى صناعة شبابيك والسيوف والدروع. [2]

– **الصناعة المعدنية:** في عهد السلطان يوسف بن يعقوب عمل محمد بن حباك بدنا من الفخار بالقبة العليا وفيه الماء جعل الماء طنجيرا من نحاس فيه خطوط وثقوب[3]، كما صنعت تفاحات من ذهب علقت على رأس منارة جامع تلمسان[4]، اما فيما يخص معدني الحديد والنحاس فقد ازدهرت الصناعات المتعلقة بهما بسبب وفرة هاذين المعدنين، فمثلا معدن النحاس المتواجد بكثرة في مدينة السوس، وكذلك مدينة مراكش التي يوجد بها العددي من مناجم الحديد والنحاس.[5]

كما صنعوا السكاكين وأغطية صدور الخيل، وفي جبل سوساوة عاش كثير من اليهود وهم الذين كانوا يمارسون في هذا الجبل حرفة الجدادة وكانوا يصنعون المناجل وحذوات حوافر الخيل. [6]

ت– الصناعة الخشبية:

– **النجارة:** كان لعاصمة بني مرين في المائة الثامنة اليد الطولي في صناعة المخروطات من الخشب والنحاس، حيث ابتكر الفنان المريني لصناعة الحشوات الخشبية بمنتجاته المتنوعة، مثل: اعتاب المباني والأسقف والمقصورات والغنرات[7]، والمنابر

[1]– عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 285.

[2]– الدوري عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، ص: 129.

[3]– علي الجزنائي، المصدر السابق، ص: 50.

[4]– ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص: 378.

[5]– مرمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعرف للنشر والتوزيع، 1984م، ج2، ص: 69.

[6]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص: 234– 152.

[7]– الغنرة: عبارة عن محراب إضافي يوضع بالصحن عند مدخل البلاط المحوري المتجه صوب المحراب الأصلي بيت الصلاة. ينظر: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى (عصر الدولة المرينية ودولة بني وطاس)، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط، 1993م، ج4، ص: 316.

وغيرها[1]، ومن أهم الغنرات غنرة جامع القرويين حيث جاء في كتاب عبد الهادي التازي التقت إلى الغنرة قاضي جماعة وخطيب القرويين أبو عبد الله ابن أبي الصبر سنة 687هـ أيام يعقوب بن عبد الحق...وابتدء العمل فيها عام 687هـ وكان الفراغ عام 689هـ. [2]

– **صناعة السفن**: اهتم سلاطين بني مرين بصناعة السفن خاصة في مدينة سبتة وطنجة وسلا، كما وجدت هذه الصناعة في جبل انجرة الذي يبعد عن القصر الصغير بنحو ثمانية أميال فكانت أرضا لما احتوت على المادة الأولية ألا وهي الخشب. [3]

بالإضافة إلى صناعات أخرى مثل: صناعة مواد البناء التي ارتبطت حرفة مواد بالبناء، وهي ضرورية لتطوير العمران كما قال عنها ابن خلدون[4]، فقد ازدهرت هذه الحرفة بشكل كبير في المغرب الأقصى، حيث شهد هذا الأخير توسعا في البناء والعمران، إضافة إلى صناعات أخرى، مثل: صناعة مواد البناء، وهي ضرورية لتطوير العمران، استخدم مغرب الأقصى أربع مواد أساسية في بناء وهي: التجارة والطوب واللبن والأجر.[5]

والأجر.[5]

لقد كان الزليج من أبرز مواد وعناصر الزخرفة في المعمارية في العصر المريني، حيث نوع المرينيون طريقة صنعه وألوانه وأنواعه وتركيبيته. [6]

إذ أشار الجزنائي في زهرة الأس إلى صنعة الزليج في سقاية باب المدرج بالقرويين في عصر أبي يعقوب يوسف سنة 692هـ، وصنع بأعلى الأدراج بابا عظيما يدخل منه لقبلة الجامع، وصنع على يمين الخارج من أسفل الأدراج سقاية نمقها بالجبس والزليج والحجر

---

[1]– عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص: 312.

[2]– عبد الهادي التازي، جامع القرويين، دار نشر المعرفة، ط2، الرباط، 2000م، ج2، ص: 320.

[3]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 322.

[4]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج1، ص: 509.

[5]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 70.

[6]– عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ص: 362.

المنجور وأنواع الأصبغة[1].فقد كان الزليج متطورا وراقيا في المغرب أيام المرنيين بالإضافة إلى اهتمام سلاطين بني مرين ببنائهم وتجديدهم للقناطر حيث جدد السلطان أبو سعيد قنطرة أبي طوية وبناء قنطرة باب السلسلة وقنطرة الصباغين. [2]

كان لتوفر المواد الخام الأثر البارز في تطوير الصناعة المرينية وازدهارها فقد تعددت الصناعات بحسب المادة منها نباتية معدنية خشبية...الخ.

3- النشاط التجاري:

أ – الطرق التجارية البحرية:

– الطريق الرابط بين المغرب الأقصى وبلاد الشام: يسير هذا الطريق بمحاذات سواحل المغرب إلى الاسكندرية، حيث يمر على عدة مدن ساحلية ليصل بعد ذلك إلى غزة ثم إلى ملاحة ثم إلى ملاحة الواردية ثم إلى عسقلان ثم إلى قيسارية ثم إلى يافى مرورا برأس الكرمان وحيفا ليصل إلى عسكا، حيث كل هذه المدن تقع في فلسطين. [3]

– الطريق الرابط بين المغرب الأقصى والدول الأوروبية: يعتبر ميناء سبتة نقطة انطلاق أساسية نحو موانئ المرية ومالقة، ليتحول الطريق إلى جزر البليار وبرشلونة ودانية وصولا إلى موانئ فرنسا منها ميناء مرسيليا، وبلنسية ومنها تتوجه السفن من بلنسية إما شرقا إلى ميورقة حيث تواصل طريقها نحو بجاية، أو تتابع سيرها نحو مضيق جبل طارق فتعبر إلى الضفة الجنوبية.[4]

ب– الطرق البرية:

[1]– على الجزنائي، المصدر السابق، ص: 74.

[2]– على الجزنائي، المصدر السابق، ص: 44.

[3]– ابن خرداذبة أبو قاسم عبيد الله، المسالك والممالك، مطبعة بريل ليدن، (د. ط)، (د. م. ن)، 1889م، ص: 155.

[4]– محمد عمراني زريقي، أهم المسالك البحرية على عهد بني مرين، جريدة الأنفاس، 31 أكتوبر 2014، ص ص: 15- 19.

– الطريق الرابط بين المغرب الأقصى وبلاد المشرق: يبدأ الطريق من طنجة ويستمر مرورا على مدن المغرب الأوسط والمغرب الأدنى، ليصل إلى مدينة الفسطاط وبعدها يمر على مدينة صالحة ثم إلى فاقاس إلى جرجير ثم إلى الفرما ثم إلى الواردة ثم إلى العريش وبعده إلى مدن العراق. [1]

– الطريق الرابط بين فاس وسجلماسة إلى بلاد السودان: يبدأ من مدينة فاس مرورا على مدينة صفروى، حيث يقدر الطريق بينهما بمرحلة[2]، ومنها إلى الأصمام مرحلة إلى موضع يقال له مرى إلى تاسغمرت مرحلة منها إلى موضع يقال له أمغاك مرحلة كبيرة نحو الستين ميلا ومنها تدخل إلى سجلماسة، حيث قدر ابن حوقل طول هذا الطريق بثلاث عشر مرحلة[3] ومن سلجماسة تدخل إلى بلاد السودان ثم على غانة، حيث تقدر المسافة بينهما مسيرة شهرين في الصحراء غير العامرة. [4]

[1]– ابن حوقل، مصدر سابق، ص: 144.

[2]– المرحلة: وهي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة، وجمعها مراحل، وتقدر المرحلة بـ 24 ميلا وعليه فمقدار المرحلة يساوي 43.200 كيلو متر، ينظر: علي جمعة محمد، المكاييل والموازين الشرعية، دار الرسالة، ط2، القاهرة، 2009م، ص: 56.

[3]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 90.

[4]– البكري أبو عبد الله، المسالك، تح: جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 2003، ص: 105.

المبحث الثالث: الوضع الاجتماعي:

1- البربر: يشكل البربر الأغلبية في المجتمع المديني اشتهروا في التاريخ بالبرانس والبتر وهم سكان شمال إفريقية[1]، حتى أنهم يشكلون عنصرا كبير في الجيش المريني.[2]

2- الأندلسيين: يضم المجتمع المريني عددا هائلا من الأندلس الوافدين من الأندلس سبب الاحتلال الإسباني لبلادهم انتقلوا نحو المغرب شكلوا الأندلس طبعة من العلماء انتقلوا من الأندلس نحو المغرب الأقصى أثروا بشكل كبير على الحياة الثقافية وحتى الدينية خاصة في الدولة المرينية.[3]

3- القبائل العربية: وهي القبائل العربية التي دخلت المغرب منذ الفتح الإسلامي للمغرب، وكانوا دويلات مستقلة ثم أرسلوا الفاطميون قبائل بنو هلال وبني سليم التي انتشرت بالمغرب وساهموا بدورهم في حياة المجتمع المغربي وعرب الخلط ومختار وسفيان، وهم حلفاء لبني مرين الذين ساهموا في الدفاع عن الدولة المرينية، ولهذا فقد ساهم العرب بدورهم في المغرب.[4]

4- اليهود: دخل اليهود المغرب وعاشوا فيه نتيجة ثلاث هجرات متفرقة فالهجرة الأولى جاءت بعد أسرة بابلي من فلسطين إلى المغرب أما الهجرة الثانية دخل فيها اليهود المغرب بصحبة الفينيقيين واتصلوا بالبربر ولهذا يوجد يهود أصل بربري أما الهجرة الثالثة كانت في العصر الروماني انتشروا بالمدن منها الرباط، مراكش، طنجة، سبتة[5]، ومع مرور

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ص: 77.

[2]- شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، دار التونسية للنشر، تونس، فيفري 1983، ج2، ص: 238.

[3]- أحمد المقري، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د، ت)، ج6، ص ص: 106- 108.

[4]- نضال مؤيد، مرجع سابق، ص: 92.

[5]- علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، ع 57، دمشق، 1996، ص: 265.

الوقت أصبحت لهم مكانة في الجانب السياسي فالتفت إليهم السلطان يوسف بعد أن اكتشف نيتهم الخبيثة واعتقلهم في الأخيرة. [1]

5- الروم (النصارى): استطاع النصارى الانخراط في الجيش المريني أطلق على قائدهم اسم قائد جند النصارى كما لهم دور في الحياة السياسية وخاصة خلال عصر نفوذ الوزراء[2]، عاشوا في منطقة ملاح بجوار فاس، استفاد جند المسلمون من خبرتهم الحربية.

6- العبيد: وهم يشكلون عددا غير قليل في بلاد المغرب إذا كانوا يشترون من بلاد السودان وخاصة من مدينة "برنوا" التي تعتبر من أهم المدن السودانية الواقعة جنوب الصحراء تواجدوا بكثرة في فاس استخدمهم السلاطين في القصور خدما لهم.[3]

ملابس المجتمع المريني:

1- ملابس السلاطين: كان السلطان زي خاص يتثمل بعمامة طويلة قليلة العرض من الكتان[4]، وفوقها يضع أحرمات يلفها على أكتافه وفي مناسبة الأعياد يلبس ثوب خاص أهدي إليه من الكعبة تبركا به.[5]

2- ملابس العامة: كانت تختلف حسب طبقات الناس ومركزهم الاجتماعي.

- الطبقة الوسطى: ترتدي الملابس المصنوعة من القماش المستورد ويلبسون البرنس وبطاقية.

- الطبقة الدنيا: يلبسون الملابس المصنوعة من الصوف الخشن.

---

[1]- نضال مؤيد، المرجع السابق، ص: 91.

[2]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 320.

[3]- نصال مؤيد، المرجع السابق، ص: 92.

[4]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص: 375.

[5]- المنوني: المصدر السابق، ص: 72.

اشتهر أهل المغرب بتطريز ملابسهم[1] لكن أغلب الناس كانوا يلبسون كساء من الصوف مطرزة من الأرجوان وجلموسا وهو غطاء غليظ يوضع على الرأس.

كما كانوا يتقلدون بسراف وهو سكين كبيرة وكان لباس الفقهاء عبارة عن كسوة تشمل على برنوس وبركلاهما أبيض من الصوف، كما تميز أهل المغرب باللون الأبيض الذي يعود إلى أهل الأندلس.[2]

– الاحتفالات والأعياد:

اهتم السلطان يوسف بالاحتفالات والأعياد منها:

– الاحتفال بالمولد النبوي الشريف: إن المولد النبوي الشريف من المناسبات المهمة التي جرى الاحتفال بها بالمغرب[3]، وقد كان صاحب أربيل أبو سعيد كوكبرى بن علي، بن بكتين أول من احتفل بالمولد النبوي بالمشرق في سنة (576 هـ- 119م)، ثم جاء هذا التأثير إلى المغرب وكان أول من نقل الاحتفال بالمولد من المشرق إلى المغرب أبو العباس أحمد العرفي[4]، وقد كان أول من احتفل بالمولد بالمغرب السلطان يعقوب المريني[5]، المريني[5]، قم اتخذ المولد النبوي شكله الرسمي وصيغته العامة على عهد السلطان يوسف إذ أمر بتعظيمه والاحتفال به في جميع البلاد في (الربيع من سنة 691 هـ).[6]

ومن أقاليم الريف في آخر صفر من عام (691هـ/ 1296 م) وكان ذلك بإشارة من الفقيه أبو طالب عبد الله بن القاسم العزفي وكان السلطان يوسف قد أناب للإشراف

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ص: 227.

[2]- لوجيه، المرجع السابق، ص: 98.

[3]- المنوني، المصدر السابق، ص 160، سعيد الديوه جني: الاحتفال يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم، مجلة البحث العلمي، ع 37، الرباط، 1987، ص: 26.

[4]- الأنصاري، المصدر السابق، ص: 22.

[5]- المصدر نفسه، ص: 23.

[6]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص: 383.

على إقامة رسم الاحتفال بفاس خطيب القرويين بن أبي الصبر أيوب بن ينكول الجاناتي[1]، وبهذا صار يوم الثاني عشر من ربيع الأول عيدا رسميا بالمغرب.

وكان اهتمام كذلك السلطان يوسف بمناسبة دينية مهمة لدى المسلمين ألا وهي ليلة القدر فقد كان يوسف يأمر بتقديس هذه الليلة والاحتفال بها وإسراج الثريا بجامع القرويين في كل ليلة من ليال السابع والعشرون من رمضان في كل عام[2]، فضلا عن اهتمامه بالعيد ويوم الجمعة، لأنها تعد من المناسبات وكان هو أول المصلين لهذه المناسبة، بحيث كان يظهر بأحسن زي بحيث كان يرتدي الثوب الذي أهدي إليه من الكعبة الشريفة وبعد أدائهم الصلاة يحتفل كل على شاكلته[3]، ثم يتوجه السلطان بهذا الجانب إلى زاوية لاحتوائها على حمام، وفنادق وحدائق، وحوانيت لقضاء أوقات راحته، علاوة عن اهتمامه بحفلات الزواج لأنها من مناسبات الاجتماعية المهمة وكان ذلك من عادات الناس بتحضير ولائم الطعام، وكان اللون الأبيض لباس الحفلات الرسمية والوطنية للمرينيين. [4]

[1]- ابن الأحمر، إعلام المغرب والأندلس أثير الجمان، تح: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407 هـ-1987م، ص: 29.

[2]- الجزنائي، المصدر السابق، ص: 69.

[3]- ابن خلدون، العبر، ص: 27.

[4]- المنوني، المصدر السابق، ص: 113.

الفصل الثاني

المسغبات والأوبئة التي ضربت المغرب الأقصى (7 هـ- 9هـ)

الدلالة ومفهوم المسغبة والوباء:

المسغبة: تعرف المسغبة بالجوع فقد جاء في قوله تعالى: ﴿**أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ**﴾ [البلد: 14]؛ أي يوم المجاعة ونجدها في حديث: «ما أطعمته إذ كان ساغبا» أي جائعا، وفي حديث آخر ذكرت كلمة مسغبة أنه قدم خبير بأصحابه وهم مسغبون؛ جائعون وامرأة سغبة وجمعها سغاب.

فكلمة مسغبة تعتبر مرادفة لكلمة المجاعة تكرر ذكرها في القرآن الكريم والكتب المناقب كثيرا.

الوباء: الوباء في اللغة يعرف الوباء في اللغة بأنه "مرض عام (ويمد ويقصر) وجمع المقصور أوباء وجمع ممدودة أوبئة وقد وبئة الأرض توبأ فهي موبوءة إذ كثر مرضها، وكذلك وبئت توبأ وباءة فهي وبيئة وعلى فعلى، وأوبأت أيضا فهي منبأة واستوبأت الأرض وجدتها وبيئة".[1]

أما مفهوم الوباء في الاصطلاح يعرفه ابن خاتمة بأنه مرض عام للناس قتال غالبا عن سبب مشترك وعرفه ابن الخطيب مع ذكر أعراضه لقوله: "هوم مرض حاد حار السبب وسمي المادة يتصل بالروح بدءا بواسطة الهواء ويسري في العروق فيفسد الدم ويحيل الرطوبات إلى السمية وتتبع الحمة ونفث الدم أو يظهر عنه خراج من الجنس الطواعين".[2]

المبحث الأول: المسغبات خلال سنة (665– 1267) إلى (693هـ– 1294م)

تعبر ظاهرة المسغبة التي تعددت أسببها من أهم وأخطر الأزمات التي شهدها المغرب الأقصى خلال الفترة الوسيطية زمن الدولة المرينية بحيث تكشف مصادر الفترة المرينية في نصوص متناثرة عن جملة من المسغبات نذكر منها:

[1]– ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص: 446.

[2]– نفس المصدر، ص: 38.

شهدت مراكش عام (665 هـ- 1267م) مجاعة شديدة كان سببها الصراع الذي دار بين أبي دبوس مع يعقوب بن عبد الحق المريني أدى ذلك «شدة المجاعة في بلاد وغلاء الأسعار»[1]، وبعد سنة عم الهدوء واستقرت الأوضاع في البلاد أخذ بنو مرين في ترتيب شؤونهم ولكن لم يستمر هذا الوضع كثيرا حتى عاد شبح المسغبة من جديد في سنة (673 هـ- 1275م) الذي أثر بشكل كبير على مدينة فاس، وفي أواخر القرن السابع انتشر الجراد وعم القحط بلاد المغرب (679 هـ- 1281م) «لم يترك خضراء على وجه الأرض»[2]، أدى ذلك إلى حدوث مجاعة وصل القمح فيها عشرة دراهم للصاع وبعد أربعة سنوات ألم بالمغرب «قحط شديد ولم يرى الناس ماء».[3]

وفي سنة (693هـ- 1294م) عرفت المغرب غلاء في الأسعار مما مهد الأجواء لاستفحال «مجاعة شديدة وانتشار وباء عظيم».[4]

2- المسغبات خلال (711 هـ- 1311م) (776 هـ- 1374م):

لقد تعرض المغرب المريني عام (711 هـ- 1311م) لكوارث طبيعية كثيرة منها القحوط هيأت لتفشي الجوع داخل البلاد مما عجز الإنسان المغربي عن مقاومته وأصبحت حياته مهددة بشبح المجاعة، فاضطر جمع سكان إلى إقامة صلاة الاستسقاء، وبعد هذا القحط استفاد المغاربة من فترة استقرار امتدت عشر سنوات على الأقل وذلك بسبب المؤثرات المناخية هيأ الوضع لاندلاع شبح المسغبة من جديد في بلاد.[5]

---

[1]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 398.

[2]- الناصري، الاستقصا، ص: 89.

[3]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 445

[4]- المصدر نفسه، ص: 539.

[5]- عبد الهادي بياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان بالمغرب والأندلس، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2008، ص: 34.

أما في سنة 723 هـ/ 1363م «كان القحط الشديد بالمغرب وخرج أمير المسلمين أبو سعيد عثمان إلى إقامة سنة الاستسقاء»[1]، والغالب على الظن أن السماء لم تمطر بحيث تفاقم القحط أدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار واشتدت المجاعة بجميع البلاد ثم انبسطت أحوال الناس بعدما قامت الدولة بتوزيع صدقات ولكن لم يدم الوضع أكثر من بضعة أشهر حتى ابتلى المغاربة بقحط شديد (726 هـ- 1326م) حصد فيها أرواح كثيرة من السكان المغرب.[2]

في سنة (762 هـ -1362 م) في عهد السلطان أبي زيان المريني ألم بالمغاربة قحط شديد نتج عنه مجاعة شديدة ووباء الطاعون الذي انتشر بسرعة بين السكان.[3]

خلال الربع الأخير من القرن الثامن الهجري ضربت موجة جذب حاد ببلاد المغرب ساهم هذا إلى انتشار الغلاء ومجاعة شديدة، وفي سنة (776 هـ- 1374م) «كانت المجاعة العظيمة في المغرب وعم الخراب به».[4]

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 529.

[2]- عبد الهادي بياض، المرجع السابق، ص: 35.

[3]- المرجع نفسه، ص: 35.

[4]- ابن قنفد، أنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص: 105.

- المجاعات الواقعة في المغرب الأقصى في العهد المريني:

لقد شهد المغرب الأقصى خلال الفترة المرينية العديد من المجاعات وسنحاول تتبع والتعرف عليها من خلال الجدول التالي التاي تحاول رصد كل المجاعات التي ضربت المغرب خلال فترة حكم المريني انطلاقا من مصادر معينة.

جدول يمثل أهم المجاعات الواقعة في المغرب المريني (7 هـ- 9 هـ)

سنة وقوع المجاعة	المصدر	مكنها	تقدير أثار وقعها من خلال نصوص مصدرية
679 هـ- 1280م	- ابن أبي زرع، القرطاس، ص: 595. - الناصري، الاستقصا، ج3، ص: 89	- المغرب. - المغرب	«وفيها كان الجراد ببلاد المغرب، أكل جميع زروعها فلم يترك بها مخضر، وفيها كانت المجاعة وصل القمح فيها عشرة دراهم للصاع». - نفس المعلومة
693 هـ- 1293 م	- ابن أبي زرع، القرطاس، ص: 530-540. - الناصري، الاستقصا، ج3، ص: 89	- المغرب	«وفيها كانت المجاعة شديدة والوباء العظيم بالمغرب هلك فيها خلق كثير، وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد والدقيق ست اواقي بدرهم»
724 هـ- 1323 م	- ابن أبي زرع، القرطاس، ص: 544-545.	المغرب فاس	«كان الغلاء العظيم والمجاعة الشديد بالمغرب (...) نشا بخارج مدينة فاس من جهة جوفها سحاب وظلمة شديدة ورياح هائلة وإعصار عظيم أعقب ذلك برد عظيم كبير الجرم (...) وفي خلاله مطر وابل، فجاء

			منه السيول الطاغية وجاء واد شد أوراغ بسيل عظيم هلك فيه بشر كثير من الناس ما يزيد على مائة وخمسين نفسا».
724 هـ- 1323م	- الناصري، الاستقصا، ج3، ص: 179	المغرب فاس	«كانت المجاعة بالمغرب وارتفعت الأسعار في جميع البلاد فبلغ المد من بفاس خمسة عشر درهما والصفحة منه تسعين ميارا وغلا الأدام وعدمت الخضر بأرها»
776 هـ- 1374م	- الناصري، الاستقصا، ج4، ص: 83 (أخذ عن ابن قنفد	المغرب	(...) كانت المجاعة عظيمة وعم الخراب بالمغرب، فأقامت بتلمسان نحو شهر انتظر تسيير الضربة (...) وكان أمر الطريق في الخوف والجوع بحيث أن كل ما نقدم، عليه يتجعب عن وصولنا سالمين، ثم عند ارتحالنا من عنده يتأسف علينا، حتى منه من يسمعون ضرب الأكف خلفنا تحسرا علينا.
927هـ- 152م	ابن القاضي، لفظ الفرائد، 842/2	المغرب	«كان بالمغرب غلاء عظيم ومجاعة مفرطة ووباء جارف ولم ينزل في هذه السنة نقطة مطر».

1

[1]- عبد الهادي بياض، المرجع السابق، ص38.

المبحث الثاني: الأوبئة المنتشرة في المغرب المريني

لا يمكن ان يخلو عصر من عصور تاريخ البشرية عن ظهور الأمراض والأوبئة وكوارث الطبيعية، ذلك لأنها لا تعترف لا بالمكان ولا بالزمان ولا بالأجناس، لذلك فقد اجتاحت مجتمعات المغرب الإسلامي خلال العصور الوسطى الكثير من الأمراض والأوبئة التي أودت بحياة الكثير من السكان حتى أنهم كانوا يعجزون معها عن دفن موتاهم حسب ما نقله لنا صاحب الاستقصا. [1]

ومن أشهر الأمراض التي انتشرت في بلاد المغرب الإسلامي أمراض العيون بين أهل سلجماسة[2] حيث قال في ذلك الإدريسي: «قل ما يوجد من أهلها صحيح العينيين بل أكثرهم عمش». [3]

ولم تكن هذه الأمراض هي التي تشكل تهديدا على حياة سكان المغرب فحسب، بل يوجد داء لا يقل خطورة عن سابقيه، انتشر هو الآخر في الكثير من المدن المغربية كمراكش وفاس، ألا وهو الحذام وهو علة تعفن الأعضاء، وتشجنها وتقرحها وتبح الصوت وتمرط الشعر. [4]

---

[1]– الناصري، المرجع السابق، ج1، ص: 311.

[2]– **سلجماسة**: من أعظم مدن المغرب، وهي على طرف الصحراء، بينها وبين فاس عشرة أيام، لا يعرف في قبيلتها ولا غربيتها عمران، كثيرة الخضر والجنات، رائعة البقاع والجهات، مقصد للوارد والصادر، اسمها مدرار بن عبد الله سنة أربعين ومائة، الحميري، المصدر السابق، ص: 305.

[3]– الإدريسي، المصدر السابق، ص: 61.

[4]– المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 460 هـ)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان، وإفريقية ونهادهم، ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1994، ص: 239.

ومن جملة الأمراض المنتشرة أيضا ببلاد المغرب نذكر البلعم[1]، الذبحة[2] والسعال الديكي ومرض الكبد، الشلل، مرض السلس، كذلك الفتق بإضافة إلى الدماميل والأوام أصلها دم فاسد مجتمع تحت الجلد، والعقم. [3]

كما تكثر بينهم أمراض الأسنان الناتجة عن تناول الماء البارد فور تناول الحساء الساخن، أيضا داء النقرس[4]، خاصة عند الأشخاص كثيري شرب الخمر ولا

ألم النسا والركب بسبب جلوسهن على الأرض دون ارتداء أي نوع السراويل. [5]

أما عن الأمراض التي اعتبرت عيبا رفض بسببها الرقيق فهي: الجنون، الفالج، الصمم والخرس، بياض العين، والبول في الفراش. [6]

كذلك الأطفال لم يسلموا من الأمراض ومن بين الأمراض التي أصابت هذه الفئة من المجتمع القروح التي مست رؤوسهم وداء السعفة[7]، كما كان عرضة لأمراض الأعصاب. [8]

---

[1]– ابن مرزوق، المصدر السابق، ص: 381.

[2]– الذبحة: وجع في الحلق كأنه يذبح، قال الأطباء وهو ورم في العضلات التي في جانب الحلقوم وعلامتها أن لا يقدر على البلع ولا التكلم ينظر: الزهراوي أبو القاسم خلف بن العباس، كتاب الزهراوي في الطب علم الجراحي، وهو المقالة الثلاثون من التصويف لمن عجز عن التأليف، تح: محمد ياسر زكور، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، دمشق، 2009، ص: 539 .

[3]– مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف محمد الأمين بلغيث، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنيطينة، 2008–2009، ص: 43.

[4]– داء النقرس: ورم في المفاصل لمواد تصب إليها، لاسيما مفصل الإبهام، ومفصل إبهام الرجل يسمى نقروس ومن هذا اللفظ اخذ مرض النقرس تسميته، ينظر: المصدر السابق، ص: 563.

[5]– الوزان، المصدر السابق، ص: 83.

[6]– الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص: 48.

[7]– داء السعفة: وهو عبارة عن بثور تحدث في الرأس والوجه، منها رطبة متصمغة، ومنها يابسة الزهراوي، المصدر السابق، ص: 544.

[8]– الوزان، المصدر السابق، ص: 85.

عـلاوة علـى هـذا كلـه يوجـد الطـاعون الـذي كـان أخطـر وبـاء أثـر علـى حيـاة الاجتماعيـة وحـتى الاقتصـادية للمغـرب الإسـلامي خـلال العصـر الوسـيط وهـو عبـارة عـن ورم خبيـث قاتـل يخـرج معـه تلهـب شـديد ومـؤلم جـدا بحيـث يصـير مـا حولـه أسـود أو أخضـر، وفي الغالـب يحـدث في ثلاثـة مواضـع: الإبـط، خلـف الأذن، وقـد كانـت بدايتـه في منصـف القـرن الثـامن الهجـري الرابـع عشـر الميلادي[1]، كـان هـذا الطـاعون الأعظـم يفـاجئ أهـل المغـرب مـن حـين لآخـر، ويولـد انتشـاره فزعـا ورعبـا لدرجـة أن المصـادر المعاصـرة كثـيرا مـا تمهـل الحـديث عـن الأوبئـة الأخـرى كالجـذام والجـذري، وغيرهـا ولا تتحـدث إلا عـن الطـاعون مـع العلـم أنـه انتشـر بهذه البلاد عن طريق السفن الواردة إليها من الشام أو مصر أو إيطاليا.[2]

– الأوبئة بالمغرب المريني:

سنة وقوع الآفة	المصدر	مكانها	تقدير آثار وقعها من خلال نصوص مصدرية معبر
693هـ/ 1293م	ابـن أبي زرع، القرطـاس مـن 593-540	المغرب إفريقية مصر المغرب	«وفيمـا كانـت المجاعـة الشـديدة والوبـاء العظـيم بـالمغرب وافريقيـة ومصـر، هلـك فيهـا خلـق كثـير..) كانـت المجاعـة الشـديدة والوبـاء العظـيم، عـم ذلـك بـلاد المغـرب وإفريقيـة ومصـر فكانـت المـوتى تحمـل اثنين وثلاثة وأربعة على المغتسل».
749 هـ/ 750 هـ	ابـن خلـدون، المقدمـة، ص: 53 بـن خطيـب معيـار	سلا مراكش فاس	«(...)» فقـد انقلبـت احـوال المغـرب الـذي نحـن شـاهدوه وتبـدلت بالجملـة (...) هـذا مـا – «نـزل بـالعمران شـرقا وغربـا في منتصـف هـذه المائـة شـرقا وغربـا في منتصـف هـذه المائـة الثامنـة مـن الطـاعون الجـارف الـذي يخيـف الأمـم وذهـب بأهـل الجيـل، وهـوى كثـيرا مـن محاسـن العمـران ومحاهـا (...)

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 42.

[2]– سـيدي موسـى، محمـد الشـريف، الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصـادية ببجايـة، دار الكـرم الله للتوزيـع، (د، ط)، الجزائـر، 2011، ص: 28.

	الاختيار، 1976، ص: 156- 164- 179		وانتقص من البشر فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل». - بعوضها مستآسد الراضع غير مفهوم..." يقصد سلا) - جرذان المقابر تأكل أموتها.." يقصد مراكش – مسبغة جرذان..." (يقصد به فاس).
751 -748	ابن الخطيب، 1868، ص: 06. - ابن الخطيب 1928، ج2، ص: 53. - ابن خاتمة، المخطوط، ابن حجر المخطوط.	افريقية والمغرب والأندلس	«وعم الموت جزيرة الأندلس، وعم الموتان أرض إفريقية بأسرها جبالية وصحاريها ومدنها، جزرها هلك من نوع الإنسان به بسبعة أعشار».
1412 -815	L'African j2, 1956,P 171, 172, note 70	فاس	الطاعون والمجاعة.
847 -844 1443 -1440	- الزركشي، 1966، ص:	إفريقية والمغرب	الوباء العظيم هلك فيه جميع العلماء والأعيان.

	141. - ابـــن مـــريم، ص: 43. - الطنبـــــولي، 1911، ص: 80.	والأندلس	
857 -856 1453 -1452	- الزركشـــــي، 1966، ص: 141. - الطنبـــــولي، 1911، ص: 80.	المغـــــــرب والإفريقية	
873 -871 1468 -1466	- الزركشـــــي، 1966، ص: 158. - ابـــن مـــريم، 1984، ص: 224 - الســـــراج، 1984، ج2، ص: 200. ابـن أبي دينـار، 1967، ص: 158.	الأنـــــدلس المغـــــــرب والإفريقية	ولم يزل يتزايد بتونس حتى بلغ ألفا كل يوم.

899 -898 1493 -1492	ابن أبي دينار، 1967، ص: 158. - السراج، 1984، ج2، ص: 200.	إفريقية وفاس	وباء عظيم مات فيه خلق كثيرون ومات به السلطان أبو زكريا

[1]

[1]– حسن الوزان، المصدر السابق، ص135.

المبحث الثالث: الأسباب المؤدية لحدوث أزمة الجوع والأوبئة

أسباب الجوع:

1- الأسباب السياسية:

- الخلافات السياسية بين المرنيين والزيانيين والحفصيين:

كانت العلاقات المرينية مع البلدان المجاورة لها في صراع سياسي وعسكري الذي غذته الرغبة في تحقيق السيادة وبسط النفوذ على كامل بلاد المغرب الإسلامي.

كانت بداية الخلافات بين الدولتين المرينية والزيانية تعود إلى انهزام الموحدين تلمسان أمام بني مرين واستلاء الأمير أبو بكر على فاس سنة (647 هـ- 1249م)[1] حينما استنجد الخليفة المرتضي بايغمراسن بن زياد ووعده بالتنازل له عن الأراضي التي يستولي عليها فدارت بينهما معركة انتهت بانتصار بني مرين ونتج عن هذه المعركة خسائر على كل الطرفين وانتشرت السلب والنهب في الدولتين.

وفي سنة (666 هـ- 1267م) شنت معركة عنيفة كان سببها تحالف يغمراسن لخليفة الموحدي أبو دبوس ضد بني مرين في قوله «إياك أن تطمع بني مرين فيما لديك وأنا أكفيك شرهم»[2] هذا السبب الذي أدى الأمير أبو يوسف محاصرة مراكش وتشديد الخناق عليها فشن يغمراسن غارات على حدود الشرقية لبني مرين فدارت معركة كبيرة بينهما في منطقة وادي تلاغ[3] وتعد هذه الواقعة من أعنف المعارك بين الدولتين انتهت بخسائر كبيرة بالإضافة إلى مقتل خيرة رجال، تجدد الصراع من جديد سنة (670 هـ- 1272م) بعد رفض يغمراسن الصلح مع السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني[4] نتيجة

---

[1]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنة، ص: 72.

[2]- المصدر نفسه، ص: 112.

[3]- ابن خلدون، العبر، ص: 117.

[4]- هوارية بكاري، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنيين السابع الهجري، أطروحة دكتوراه في تاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، 2014، ص: 33.

لهذا الرفض دارت معركة بينهما في منطقة إسلي قرب وجدة انتهت بانهزام الزيانيين ولكن تكبد خسائر للطرفين.

واستمرت العلاقة بينهما في صراع دائم نتج عن هذه التوتر والمعارك المستمرة ضعف بني مرين جراء التكاليف المتكررة بالإضافة إلى الفتن الداخلية وكذا غارات القبائل المجاورة لها بين الحين والآخر.

أما بالنسبة للعلاقات بين المرينيين والحفصيين لم تكن بنفس الحدة التي شهدتها العلاقات الزيانية والمرنية بسبب بعد المسافة بينهم كانت بداية ظهور الخلفات وتأزم العلاقات بينهم نتيجة رد فعل المرينين عندما قام الحفصيون باحتضان بعض الثوار المعاد للمرنيين. [1]

يمكننا القول أن العلاقات السياسية المرينية مع الدول المجاورة لها ضلت مهددة بالتوتر خلال فترة الممتدة من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري انعكس ذلك سلبا على المجتمع المغربي وساهم بتأزم أوضاعهم المادية وانتشار أزمة المسغبة والأوبئة.

– فساد الحكام وأنظمتهم السياسية:

للحكام أثر كبير في قيام الشعوب نحو الخير أو الشر فصلاحهم تصلح البلاد وبفسادهم تسوء مما يلحق الضرر بالمصلحة الاجتماعية فكل الحركات الشعبية التي قامت داخل المجتمع المريني كان محركها ودافعها فساد أنظمة الحكام وتسطلها على الرعية مما أدى إلى تفشي شبح المجاعة والوباء داخل المجتمع المغربي.

ظهرت الثورات في المغرب المريني لفساد السلطة بكل خصائصها ومميزاتها فقد اعترت السياسية الداخلية لدولة بني مرين خلال الفترة الأخيرة من الحكم إذا أصبح

[1]– ابن خلدون، العبر، ص: 297.

السلاطين ألعوبة بين أيادي الوزراء الذين نصبوا أنفسهم وزراء تفويض لا وزراء تنفيذ[1]، وانفردوا بترسيخ من يرونه مناسبا وخلع أو قتل من لا يتوافق مع رغبتهم ومصالحهم وكان لهذا أثار كثيرة أدت إلى إضعاف الدولة وانهيارها وقد وردت عدة مصادر تاريخية عن خلع السلاطين وتنصيب سلاطين صغار السن[2]، لا سيما خلال فترة "الفودودي" الذي جر البلاد باستبداده وسياسته الداخلية والخارجية إلى وضع مأسوي كما أدى تعين وزراء آخرين غلى أوضاع سياسية صعبة جدا. [3]

ففساد أنظمة الحكم ببلاد المغرب الأقصى بكافة أساليبه كالإسراف والتبذير والظلم الذي أثر كثيرا في ظهور الأزمات الجوع والوباء.

2- الأسباب البشرية:

ينطوي تحت هذه الأسباب كل ماله علاقة بسلوكات وأفعال الإنسان اتجاه أخيه الإنسان فالطبيعة الفطرية للمرء محمولة بين أمرين النفس الخيرة والمؤذية فالإنسان في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط لم يكن بمنأى عن هذه الأوصاف فالحروب والحصارات تعتبر من خصائص الإنسان، كما ترتبط بعنصر الجوع فالحروب وسيلة بدائية لشبح المجاعات.

- الحروب والفتن:

من خلال المادة العلمية التي عثرنا عليها أن ظاهرة الحرب والصراع بين القبائل حول المجال ازدادت خلال القرن السابع الهجري والقرون اللاحقة فالحرب التي كانت تنشب بين الكيانات الثلاثة (الزيانية والحفصية والمرينية) مثالا واضحا لهذه المعاناة من حيث الضرر

[1]- عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بن مرين تاريخها وسياستها اتجاه مملكة غرناطة وممالك النصرانية في إسبانيا (668- 869 هـ/ 1269- 1465م)، رسالة ماجستير في تاريخ الإسلامي، جامعة النجاح، نابلس، 2003، ص: 196.

[2]- الناصري السلاوي، الاستقصا، المصدر السابق، ج4، ص: 03.

[3]- المصدر نفسه، ج4، ص ص: 7- 33.

والخراب الذي نتج عن هذه الصراعات وبطبيعة الحال فإن الحروب تتطلب كثرة الأموال وعدة رجال مما ينعكس ذلك سلبا على البنية الديمغرافيا والاقتصادية معا بالنسبة للطرف الغازي والطرف المقصود بالغزو فتكون وطأة الفقر والجوع عليه أعظم.

كانت الحرب هي المهيمنة على نظام الحياة في بلاد المغرب الإسلامي خلال معظم الفترات ودليل على ذلك ما ورد في قول صاحب الذخيرة «فكثرت الفتن بين القبائل المغرب واشتد الخوف في الطرقات ونبذ أكثر القبائل الطاعة وفارقوا الجماعة وقالوا لا سمع ولا طاعة فأكل القوي الضعيف واستولى الدنيء والشريف فكان كل من قدر على شيء صنعه فانقطع الحرث واشتد الغلاء في البلاد بسبب ذلك الإهمال والفساد».[1]

فكانت قبائل بني مرين وغيرها من قبائل زناتة ساكنة بالمناطق الجدباء تعيش في حروب متواصلة بسبب النزاع في المجال القبلي فكانت لا تخمد واحدة إلا لتشتعل أخرى وكان ذلك طبعهم على حسب قول ابن أبي زرع «أن جل أموالهم الإبل والخيل وأدبهم الحرب وخواضان الليل».[2]

فالحروب التي شهدها المغرب الأقصى خلال فترة مدار الدراسة أضرت كثيرا بإنتاج الفلاحي بفعل نهب المحاربين واحتراقهم للقرى وتخريبهم للمحاصيل[3] الزراعية ومن الأمثلة على ذلك ما حل بالمناطق الوسطى من المغرب الأقصى جراء الصراع حول الحكم بعد وفاة أبي عنان وهو مثال حي يبرز درجة الضرر الذي لحق بالبلاد تلك الحروب المتكررة بين الحين والآخر.

[1]– ابن زرع الفاسي، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص: 36.

[2]– المصدر نفسه، ص: 25

[3]– تيتاو حميد، الحروب والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني، (د.ط)، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 2010، ص: 234.

3- الأسباب الطبيعية:

إن بلاد المغرب كانت تعيش دائما في رهان دائم مع الطبيعية بحيث تتقلب بين العطاء والشح والنعيم والبؤس[1]، فلا جدال في أن التقلبات المناخية عبر التاريخ وما تترتب عنها من كوارث طبيعية وأوبئة وما تركته من بصمات واضحة في سيرورة التاريخ وانعطافاته الكبرى، حيث يعد من أبرز الأسباب التي أفرزت ظاهرة الجوع في المجتمع المغربي.

- العامل المناخي:

لعل أول من تفطن إلى أهمية المناخ وتأثيره على الحضارات هو ابن خلدون فقد وضح في جزء مقدمته أثر المناخ غفي طبائع الناس وعاداتهم مبرزا بذلك حتمة المناخ من خلال العديد من المواقف أهمها بالنسبة إلينا دور المناخ في سيادة حالتي الجوع والرخاء فالأقاليم المتمثلة في الإقليم الرابع والثالث والخامس تكون في نظره صاحبة الحظ الأكبر من التحضير لما يتوفر فيها من العلوم والصنائع والمباني ومختلف الأقوات والفواكه والحيوانات وأغلب معاملات سكانها بالنقديين "الذهب والفضة".[2]

شكلت الآفات الطبيعية والبيئية إحدى أبرز ظواهر سجلها تاريخ المغرب الأقصى لما كان ينشأ عنها من خراب ودمار وربما كانت تتركه من آثار جسيمة في كافة الميادين الاقتصادية منها والاجتماعية لتصيب الإنسان المريني بعجز كبير أمام الطبيعة وتقلباتها المفاجئة.

الظاهر أن التقلبات المناخية التي عرفها المغرب الأقصى هو الآخر خلال الفترة مدار البحث دورا هاما في ازدياد هذه الكوارث وبروز حدتها فقد كانت معظم الأنهار والعيون تعتمد بشكل كبير على التساقطات المطرية وكان صبيبها مرتبطا أشد الارتباط بوفرة الأمطار

[1]- محمد الأمين البزار، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب (1918م)، كلية الآداب، الرباط، 1992، ص: 34.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص: 85.

أو ندرتها فالصيب يرفع ويصبح على شكل سيل جارف بينما تأتي فترات الجفاف فينخفض الصيب ليصل أحيانا إلى مستويات قد ينعدم فيها الجريان.

عاش أفراد المجتمع المغرب المريني في رهان دائم مع الطبيعة من أجل توفير المعاش فإذا جادت السماء تمكن من زراعة أرضه وحصل لماشيته من ماء وإن سحت ضعف المحصول أو توقف إنتاجه[1]، وتسبب ذلك في انتشار المجاعة والفقر وما يليه من الكوارث طبيعة وبيئة وتكشف مصادر الفترة المرينية في نصوص متناثرة عن جملة من الكوارث والآفات التي كانت تتعاقب دوريا.

والظاهر أن انتشار الجراد ببلاد المغرب هو الآخر أسفر عن اتلاف للمحاصيل الزراعية فكان لهجومه أثر على حسب ما دونته لما النصوص «بحيث كان الذي سلم من المحاصيل إلتهمته أسراب الجراد العام ولم يترك خضراء على وجه الأرض وبلغ القمح عشرة دراهم للصاع»[2] فلجأ العوام إلى استهلاك أطعمة غير مألوفة زادت في تدهور أوضاعهم الصحية.

وبعد فترة استقرار لم تعمر أكثر من أربع سنوات ألم بالمغرب عام (683هـ- 1282م) «قحط شديد ولم ير الناس ماء»[3] وبالمثل تكشف نصوص عن تعرض المغرب الأقصى عام (711هـ- 1311م) لكارثة القحط.

كما كان لجائحة السيول والعواصف أثر كبير على المجتمع المريني وتجلى ذلك في وصف صاحب القرطاس لفيضان وادي فاس في قوله: «وفي سنة سبع وعشرون وسبعمئة أتى سيل بوادي مدينة فاس...فهدم السور وحمل الشبك وخرب الجنات وقلع الأشجار العظيمة وهدم القناطر والديار...وكان جملة من هلك فيه من الناس المعروفين».[4]

---

[1]- محمد الأمين البزار، المرجع السابق، ص: 34.

[2]- السلاوي، الاستقصا، المصدر السابق، ج3، ص: 89.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص: 340.

[4]- المصدر نفسه، ص: 414.

كما نجد ابن زرع يكشف لنا على كثرة السيول الجارفة التي تسببت فيها الأمطار خلال الربع الأول من القرن الثامن الهجري في قوله «وفي سنة اثنين وعشرون وسبعمائة هبت ريح شديدة بمدينة مكناس وفاس ورباط تازة وأحوازها واستمر هبوبها يومين هدمت الديار وقلعت الأشجار ومنعت الأسفار وقلعت من زيتون مكناسة شيئا كثيرا»[1]، وتوالت على مدينة فاس مرة أخرى سلسلة من الكوارث أهلكت الحرث والنسل، ومن جهته ذكر الناصري ان أمطارا شديدة عصفت بالمغرب عام (755هـ- 1353م) كان تأثيرها واضحا حتى ظنوا أنه الطوفان بعينه إذ شققت التربة وأصبحت مريضة لا تصلح أن يزرع فيها شيء.[2]

فلا شك أن موجات الجوائح المختلفة التي ضربت أرجاء المغرب الأقصى كان لها دخل مباشر في حدوث المجاعات التي كانت تهدد الفرد المريني بين حين والآخر مثال على ذلك مجاعة (617 هـ- 1219م) «وفيها ابتدأت المجاعة والغلاء والقحط وكثرت الفتن وعم الجراد»[3]، والملاحظ أن الكوارث الطبيعية كان بعضها يتناسل من بعض أحيانا وبشكل متزامن أحيانا كثيرة إن تردد موجات الكوارث الطبيعية بالمغرب جعل حياة الإنسان المريني محكومة برهان دائم مع المؤثرات المناخية التي طالما أظهرت عجزه عن التكيف معها أو الحد من خطورتها فقد أفادنا ابن عذارى بنص عن المجاعة التي ضربت مراكش عام (632هـ- 1234م) المعاناة التي ألقت بسكانها ونفاذ أسواق من المواد الضرورية للاستهلاك.[4]

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص: 413.

[2]- الناصري السلاوي، المرجع السابق، ج3، ص: 194.

[3]- ابن أبي زرع، الذخيرة، المصدر السابق، ص: 54.

[4]- ابن عذارى، البيان، المصدر السابق، ص: 325.

3– الأسباب الاقتصادية:

أ– جباية الضرائب وأثرها على المجتمع المريني:

عاشت دولة بني مرين فترات كبيرة من حياتها في ظل الرخاء والازدهار ومرجع ذلك إلى التنظيم المحكم الذي سار عليه المرينيون في سياستهم المالية التي تكون من الزكاة والخراج والجزية والغنائم والأحباس ولم تكن هذه المصادر ثابتة في كافة عهود سلاطين بني مرين حيث مال بعض السلاطين إلى استحداث مصادر أخرى تنافي الشرع كالمكوس وبعض الضرائب الأخرى فكانت الزكاة مسند إلى الفقهاء بسبب عدلهم والدقة فيها. [1]

أما ضريبة الخراج فقد كانت على سكان والقبائل البوادي والأرياف «فوضع على كل قبيلة مالا وزرعا معلوما يؤدونه له في كل سنة في حين خضعت المدن مثل فاس ومكناسة وتازة أموالا معلومة يؤدونها في كل سنة حتى يؤمن لهم الطرقات ويكف عنهم الغارات»[2]، كما يشير الوزان إلى «أن سكان يازغة بتازا كانوا يؤدون خراجهم إلى عامل فاس».[3]

أما الجزية في العصر المريني من مصادر بيت المال فيذكر ابن أبي زرع أن السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني أجرى مالا معلومات على الجذمان والعميان والفقراء «يأخذونه كل شهر من جزية اليهود»[4]، وفي المقابل أوردت بعض المصادر عن المصادر الغير الشرعية على الرعية من أبرزها ضريبة القبالة التي كانت تأخذ من الرعية ما عدا الأبقار والأغنام التي تعفى في بعض الأحيان[5]، ومن الضرائب التي كانت في المغرب الأقصى كغيره من المغربيين

---

[1]– معمر الهادي محمد القرقوطي، الحياة الاقتصادية خلال العهد المريني، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، منشورة، جامعة الجزائر، 2008، ص: 326.

[2]– ابن أبي زرع، الذخيرة، المصدر نفسه، ص: 36.

[3]– الحسن الوزان، المرجع السابق، ج2، ص: 364

[4]– ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر نفسه، ص: 289.

[5]– معمر الهادي محمد القرقوطي، المرجع السابق، ص: 332.

الأدنى والأوسط ضريبة الإنزال والخرس التي فرضت على الجنات (الحدائق) وضريبة الزوجية.[1]

بعد تطلعنا على مختلف المصادر توصلنا إلى أن كثرة الضرائب المفروضة على أهالي بلاد المغرب الأقصى وحجم المعاناة التي عاشها الرعية جراء تلك الضرائب الغير الشرعية والمجحفة في حقهم ساهمت بشكل كبير في إفقار الرعية وسخطهم وتذمرهم.

ب- الاحتكار وغلاء الأسعار:

إن غلاء الأسعار شكل هاجسا أمام أفراد مجتمع المغربي مما انعكس ذلك داخل المجتمع فارتباط ظاهرة غلاء الأسعار بشيوع الفقر والجوع داخل المجتمع التي ظلت قائمة في ظل تعاقب الكوارث الطبيعية والبيئية فقد عاش أفراد المجتمع من ويلات غلاء الأسعار بافتقاد الأقوات والعجز في الحصول على ما يسد رمق الجوع.

كما شهد المغرب الأقصى في بعض الفترات مجاعات وأوبئة حادة تمثلت مظاهرها في غلاء الأسعار للمواد الغذائية أو انعدامها أحيانا فالملاحظ أنه كلما حدث قحط أو مجاعة إلا ورافقها غلاء شديد في أسعار المواد الغذائية.

واشتد الحال في تنامي غلاء الأسعار بالمغرب المريني ففي (617 هـ- 1219م) على حد قول ابن عذارى «اشتدت الحال في تناهي غلاء الأسعار بالبلاد الغربية والأندلسية»[2]، كما كشف ابن زرع عن حجم المحن التي كابدها المرينيون في صراعهم ضد جبهة الغلاء وعلى حد تعبيره، «في سنة (635 هـ/ 1233م) كان العدوة والأندلس غلاء شديد ووباء مفرط هرب فيه أكثر أهل البلاد ووصل فيه قفيز القمح ثلاثين دينارا».[3]

---

[1]- ابن مرزوق، المسند، المصدر نفسه، ص ص: 284- 285.

[2]- ابن عذارى، البيان المغرب، المصدر نفسه،ص: 267.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر نفسه، ص: 255.

وظل الغلاء شبحا مخيفا يهدد الرعية في فترة حكم السلطان المريني أبي الربيع سليمان (708- 710 هـ/ 1308- 1310م) «كانت في أيامه غلاء»[1]، حيث نتج عن هذا الغلاء نفاذ المواد الغذائية الأساسية من الأسواق وانعدامها وأصبحت حياة المجتمع المريني مهددة بشبح الجوع والهلاك.

والظاهر أن الظروف التي كانت سائدة في المغرب المريني من غلاء المواد الاستهلاكية الضرورية التي يكثر الطلب عليها وقت المجاعات ساهمت في شيوع ظاهرة الاحتكار التي اعتمدها الكثير من التجار قصد تحقيق ربح سريع بعد مضاعفة السعر هذا الأمر جعل الإنسان المغربي يعيش في رهان غير عادي مما اضطر الكثير من الرعية أمام هذا الغلاء الفاحش وتفشي ظاهرة الاحتكار باللجوء إلى أساليب أخرى كالغضب وأعمال اللصوصية لسد الفقر والجوع الذي أصابهم حيث ازدادت هذه الظاهرة في نهاية العصر المريني.

- الأسباب المؤدية لحدوث الأوبئة:

بالرغم من الأوبئة والطواعين تتدرج ضمن الآفات السماوية أو العاهات التي لابد للإنسان فيها، بل هي مقدرة من الخالق سبحانه وتعالى إلا أن التآليف الطبية وكذا التآليف التي كتبت عن الطب النبوي رصدت لنا جملة من الأسباب منها طبيعية ومناخية ومنها ما هو روحاني أو ناتج عن الحروب والمجاعات.

- فساد الهواء والماء:

يعد فساد الهواء هو العامل الرئيسي لحدوث الأوبئة لأن الناس يشتركون جميعهم في استنشاقه وعليه فساده يعني هلاكهم بالجملة[2]، وتحول الهواء وإحالته إلى فاسد يكون سواء في الكيف أو في الجوهر ففساده في الكيف يكون بفساد كيفياته العرضية دون فساد الجوهر فتزيد أو تنقص على مقدارها الطبيعي، أو تغيره في الجوهر فيكون بفساد فصوله الجوهرية

[1]- السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص: 99.

[2]- ابن زهر، كتاب الأغذية، تح: اكبوايتون غارتيا، معهد التعاون العالمي العربي، مدريد، 1992، ص: 143.

وتعفنه وخروجه عن حالته الطبيعية[1]، ويكون فساد الهواء بسبب فصل الرطوبة والحرارة الزائدة وكثرة التعفن[2]، مخالطة الهواء الأبخرة المتعفنة كالتي تخرج من مطامير الطعام التي يطول اختزانها أو المواضع التي يجمع فيها الرشح من الخزر السفن أو الهواء المتصاعد من أفضية الآبار التي يموت فيها الحيوان. [3]

وقد يفسد الهواء أيضا بسبب كثرة العمران ينتج عنه الرطوبة والعفن وهو السبب الذي ذكره ابن خلدون، قائلا الوباء سببه في الغالب فساد الهواء بكثرة مال يخالطه من العفن. [4]

أما ابن خطيب لسان الدين يذكر أنه له سبب أقصى وهو الأمور الفلكية من القرنات التي تؤثر في العالم حسبما يزعمه أرباب صناعة النجوم ويأخذ الطبيب مسلما عنهم وسبب الأدنى: وهو فساد الهواء الخاص بمحل ظهوره ابتداء أو انتقالا. [5]

ولم يكن الهواء عامل الفاسد فقد المتسبب في حدوث الأوبئة وإنما المياه الفاسدة أيضا في حدوث الأمراض والأوبئة حيث يسبب العديد من الأمراض منها الحميات الدقيقة والأورام الطاعونية والجرب وكذلك الحصى في الكلى والمثانة خاصة المياه الراكدة، والمتغيرة حتى النتانة. [6]

وحتى فساد الأطعمة التي تؤدي إلى تعكر الدم وتسمم الجسد، وإذا ما اشتد حالها تعذر ردبها ويكون ذلك بقروح أو غيرها.

---

[1]- ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في تفصيل مرض الوافد، ضمن كتاب: عبد الكريم الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج1، ص: 166.

[2]- ابن زهر، السير في المداواة والتدبير، تح: مثير الخوري، تق: محي الدين صابر، دار الفكر، 1983، ص: 450.

[3]- ابن خاتمة، المصدر سابق، ص: 166.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص: 282.

[5]- ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تح: حياة قارة، ص: 180.

[6]- ابن زهر، المصدر السابق، ص ص: 454- 456.

ويدعم ذلك ابن خاتمة في قوله «فإن البلاد التي غلب على أهلها أكل...الأغذية العفونية السريعة الاستحالة كالحيتان والألبان وشرب المياه الراكدة التي في بطون الأودية والمارة للغياض، والأجام، فإن أمزجتهم تكون أتم استعداد للتأثر عن هذا الحادث وكذلك أرباب المياه الكبريتية».[1]

ب- اضطراب المناخ:

إن التغيرات المناخية لم تقتصر سلبا على حدوث القحوط والفيضانات فقط وإنما تسبب أيضا في حدوث الأوبئة هددت حياة الإنسان في العصور الوسطى وجعلته دائما عرضة لهذه الأمراض المفاجئة ويتسبب اضطراب فصول السنة وتبدلها في ظهور الأمراض الوبائية كأن يكون فصل الربيع باردا يابسا والخريف يكون على طبيعته الريح والشتاء على طبيعة الصيف[2]، ويتعفن الهواء إذا كانت السنة ربيعية فيؤثر ذلك في الحيوان والنباتات والإنسان على حد سواء[3]، كما أن التذبذب في الأمطار يؤدي إلى حدوث أمراض وبائية ففي فترة القحط يتغير الهواء ويفسد وتحدث بذلك أوبئة مثل الرمد والسعال والبحح وانبعاث الدم من المقعدة. [4]

ج- المجاعات وغلاء الأسعار:

كان لظهور الأوبئة أحيانا سببا في تعاقب المجاعات فيعجز السكان عن توفير احتياجاتهم الضرورية لكن هذا ليس دائما فقد تحدث أوبئة دون أن تتبعها مجاعات أو مرض والعكس صحيح وهذا ما أثبتته المصادر التاريخية من خلال ما جاء بين متونها فحسب شهادة الذهبي في قوله «عندما تفشى الطاعون بالبلاد الشامية عدمت الأقوات واتخذ الغلاء بشكل كبير وشرع الوباء مما أدى إلى حدوث كارثتين معا مرض أولا والمجاعة

[1]- ابن خاتمة، تحصيل عرض القاصد، ص: 150.

[2]- المصدر نفسه، ص: 170.

[3]- الأنطاكي، بغية المحتاج، في المجرب من العلاج، ط1، دار الفكر، بيروت، 1421 هـ- 2001م، ص: 333.

[4]- ابن زهير التسيير في المدوارة والتدبير، ص: 453.

ثنايا فمعظم الأمر عليهم واشتد الخطب» [1]، وبالمثل كان الوباء الحاصل في كل من المغرب الأقصى وإفريقية ومصر له علاقة مباشرة بالجوع وقلة الحاجة فيقول ابن زرع «وفيها (أي سنة 693هـ– 1293م) كانت المجاعة شديدة والوباء العظيم بالمغرب وإفريقية ومصر هلك فيها خلق كثير». [2]

فأوقات المجاعة تفرض على الناس نمطا غذائيا جديدا يكون في أغليه غير خاضع لشروط الصحة لأن همهم الوحيد هو أن يسدوا رمقهم من الجوع فيقتصر غذائهم آنذاك على أكل الحبوب المتعفنة والفاسدة من طول الاختزان وأكلهم للحلوم الرديئة كلحم الجيفة ولحوم مختلفة من الحيوانات مثل الفئران ولحوم الكلاب ولأكلهم لنباتان البرية وبعض الأغذية الغريبة التي لن يتعودا على أكلها. [3]

الأغذية عند المغاربة في زمن المسغبات ومدى تأثيرها على الصحة:

لقد كانت المجاعات والكوارث الطبيعية تفرض على المجتمع المغربي أغذية استثنائية تعمل على تسكين آلام الجوع لبعض ساعات حيث يلجؤوا إلى الطبيعة وصناعة منها عذاء بديلا يقامون به دون متعة أو تفتن في الطبخ. [4]

تشير بعض المصادر التاريخية إلى مجموعة من الأعشاب والنباتات البرية التي استهلكها المغاربة زمن المسغبات والأزمات الطبيعية الذي كان يغسل ويجف تحت أشعة الشمس تم تطحن لاستخراج نوع كخبر[5] يباع في الأوساق ولكنه كائن له مضاعفات

---

[1]– الذهبي محمد، ذيول العبر في خبر من غير، تح: أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، ج3، ص: 114.

[2]– ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص: 117.

[3]– ابن زهر، التسيير في المداواة والتدبير، ص: 459.

[4]– عبد الهادي بياض، المرجع السابق، ص: 181.

[5]– رقية مويسات، الغذاء والتغذية في المغرب الإسلامي الخضروات والفواكه أنموذجا من القرن الثاني إلى القرن التاسع ميلادي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019م، ص: 67. محمد البركة، النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، سيولوجية القيم والأحكام والعوائد، وزارة الثقافة، مطبعة بني أزناس سلا، المغرب، 2016، ص: 90.

صحية إذ كان يتسبب بالإسهال الحاد وبالنسبة للمغاربة يرونه أهون من شبح الجوع، وأعشاب برية مثل "العجوة" وهو أمر التمر كان يؤكل للضرورة.

وأيضا "الجميز" الشبيه بالتين البري ينتفعون به كثيرا لوجوده في كل وقت وطعام آخر يتخذ من الذرة ويعرف بالطهف وأيضا "جميز" الشبيه للتين البري الذي كانوا ينتفعون بيه كثيرا لوجوده في كل وقت.

وكانوا يجمعون البلوط ويجففونه ثم يدقوه ويخلطوه بحشائش أخرى ويضع دقيق للخبر كما أنهم كانوا يقتاتون الحبوب قديمة التخزين والمتعفنة. [1]

تسببت هذه الأطعمة المتعفنة في إلحاق الضرر وتعرضهم لعدة أمراض حيث اضطروا إلى أكل الجراد باعتباره حلال ويسد الرمق ولكن له تأثيرات سلبية على الصحة باعتباره حار ويابس وهو قليل الغذاء والمداولة على أكله يولد الهزال[2]. ومن أجل التقليل من مضاعفاته الصحية ابتكر طرق عديدة في تحضيره فكان يأكل الجراد مقلي أو مملح[3]، كما أنهم أقبلوا على أكل جلود الحيوانات ألحامها التي تفاوتت أسعارها وتفاوت أضعافها «وتقوت سائر الناس بالجلود الأصماغ وعرق السوس».[4]

حيث اضطر سكان الريف إلى مزج بعض المواد للحصول على خبز رديء لأنه لا ينبت أي شيء حسن في حياتهم ما عدا القليل من الدخن[5]، الذي يخلطونه مع بدر العنب ويستخرجون منه دقيقا ويصنعون منه خبزا أسودا كريها.[6]

---

[1]- رقية مويسات، المرجع السابق، ص: 67.

[2]- ابن قيم الجوز، الطب النبوي، تح: عادل الأزهري ومحمود فرج العقدة، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1990، ص: 228.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص: 282.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص: 38.

[5]- ابن منصور، المصدر السابق، ص: 312.

[6]- الوزان، المصدر السابق، ص: 257.

الفصل الثالث

الانعكاسات الناتجة عن أزمة المسغبة والوباء والسعي لتجاوزها

المبحث الأول: الآثار الاجتماعية

لاشك في أن ظاهرة المسغبات أفرزت آفات اجتماعية وآثار نفسية في الإنسان وهذا ما شهده إنسان المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط ظهرت منه ردود فعل يعبر من خلالها عن معاناته على شكل سلوكات يسعى من خلالها تجاوز هذه الأزمات ومن بينها السرقة والنهب والتسول والهجرة والهروب من الواقع فتركت أزمة المسغبة في بلاد الأقصى أثر بالغ خاصة في الجانب الاجتماعي.

– انتشار الآفات الاجتماعية:

– السرقة:

إن الجوع والفقر من بين الأسباب المباشرة للانحلال الخلقي فكثيرا ما يكون سببا في نشوء الجرائم والرذائل وشيوعها[1]، ولاشك أنه كلما زادت نسبة الفقر والجوع ارتفعت الآفات الاجتماعية كالسرقة والتسول...الخ، وهذا ما يبين أن الفقر هو المسبب لانخفاض نسبة الوعي لدى الإنسان فحاجيات الإنسان تدفعه إلى القيام بهذه السلوكات الرذيلة كما قيل «صوت المعدة أقوى من صوت الضمير»[2]، ومن بين هذه الآفات التي انتشرت داخل بلاد المغرب الأقصى نذكر منها السرقة حيث ظهرت حركة اللصوصية والسرقة في المجتمع المغربي بسبب الاضطرابات الاجتماعية من جوع وفقر واضطرابات سياسية (الحروب والفتن) كلها أسهمت بشكل كبير بظهورها وانتشارها.

هذه الفئة أكثر تضررا خاصة في فترة المسغبات مما دفعهم إلى البحث عن قوتهم كل الطرق حتى يسدوا جوعهم وحاجياتهم، فكانت ظاهرة قطاع الطرق منتشرة بكثرة بحيث تعتبر من اخطر الظواهر التي كانت سائدة خلال الفترة الوسيطة وما يزكى هذا الطرح قول

[1]– محمد الغزالي: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ط7، مكتبة أمزيان، الجزائر، (د، ت)، ص ص: 92– 93.

[2]– يوسف القرضاوي: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1406 هـ/ 1985م، ص: 15.

الوزان «قطاع الطرق الذين يغتالون الناس بلا رحمة»[1]، كما ذكر لنا الوزان هي إحدى أوصافه مدى خطورة السرقة حيث يروي لنا حادثة جرت معه «ذهبت إلى السوق لشراء بعض الضروريات السفر الذي كنت أقوم به وصلت متمطيا فرسي وأول ما اشريته خيال خيام...وبعد أن فرغت من شرائي وضعت رجلي اليسرى على عنق الفرس حتى أستطيع الركاب لكنني لم أجد العنان عندما أردت إمساكه وإذا بخادمان من خدام الملك أتيا وقال لي يا سيدي لقد سرق عنان جوادك».[2]

– التسول:

إن ظاهرة التسول من الظواهر السلبية التي تكون في المجتمع نتيجة لعدة أسباب بحيث يمارسها الفرد من أجل الحصول على الكسب بأي طريقة[3]، نلاحظ خلال فترة البحث أنه شريحة المتسولين تعرضت للإهمال من قبل المؤرخين مما صعب الأمر على الباحث[4]، بحيث ينتمي معظم المتسولين إلى أصول اجتماعية فقيرة نشأت عن التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها المغرب منذ حوالي القرن 7هـ/ 13م، نتيجة الأزمات الكثيرة والمتعددة التي عرفتها البلاد من ارتفاع الأسعار، والقحط والجفاف والمجاعات فإن شريحة المتسولين لم تكن سوى إفراز لهذه المعطيات فنجد البرزلي يبرز لنا في إحدى نوازله أن التسول كان منتشرا في عصره على حد قوله «سئل عن من له قريبة فقيرة لا تقدر على التسول ولا علة التصوف هل يخصمها بماله» وهي نازلة توحي من خلال مضمونها أن الكثير من المحتاجين أمثال هذه الفقيرة كانوا يلجئون إلى التسول لتحصيل قوتهم في الكثير من الأحيان[5]، ومن خلال النصوص الواردة في بعض المصادر نجد أن الأماكن التي يجتمع

[1]– الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 384.

[2]– المصدر نفسه، ص: 398.

[3]– حسين رشوان، مشكلات المدنية والدراسة في علم الاجتماع الحضري، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، 2002، ص: 157.

[4]– إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ المغرب الإسلامي.

[5]– البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص: 576.

فيها المتسولون هي المساجد والجوامع والأسواق كان هذا الوضع يضايق الناس، ويظهر أن هذه العادة كانت في زمن المجاعات بسبب اتخاذ بعض المحسنين والجوامع أماكن للإغاثة والإطعام، وأن النشاط المعتاد لهؤلاء، المتسولين يبنى أساس على سؤال قوتهم اليومي، وكان استغلال المسولين في المدن المناسبات والأعياد الدينية[1]، ووقت الحصاد وجني الثمار.

كان المتسولون في أوقات المجاعة يمرون بظروف صعبة لأن فرص الحصول على القوت ستقل وهذا ما أشار إليه ابن قنفد أثناء رحلته إلى فاس والتي صادفت مجاعة عظيمة سنة (776هـ/ 1374م).

وصفوة القول أن التسول جسد ظاهرة اجتماعية في العصر الوسيط وازداد بسبب الأزمات، ويبقى نقص النصوص والوثائق الخاصة بهذه الشريعة في المجتمع المريني عائقا كبيرا في معرفة أحوال هذه الفئة الضعيفة.

[1]- محمد استينو، الفقراء في المغرب، نماذج من القرنين (16-17)، (د-ط)، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1427هـ- 2006م، ص: 37.

المبحث الثاني: الإنعكاسات الديمغرافية

إن تأثير الأزمات المعيشية والصحة التي مرت بها المغرب خلال الفترة الوسطية تعدت أثارها المدمرة إلى مختلف المجلات خاصة على الجانب الديمغرافي حيث أحدثت هذه الأزمات اختلال كبير في التوازن الديمغرافي بسبب العدد الكبير الذي حصدته من الضحايا. في التوزان الديمغرافي كالوفيات والهجرة الكثيفة للسكان أحداث غير عادية تضرب بعمق، وتهلك السكان وتخلف بصمات هالكة من الأذهان وفي الذاكرة للسكان ولا شك أن شبح المسغبة والوباء أثر كثيرا على النمو السكاني وهذا ما أحدث خلل في التركيب النوعي والعمري لسكان بلاد المغرب الإسلامي.

1- الوفيات:

لقد تسببت المسغبات والأوبئة والفتن والحروب والوفيات مما أسهم ذلك من تدهور المنحى الديمغرافي وتراجع ولكن من المؤسسة أن المصادر لم تفدنا كثيرا ولم تصور لنا حجم الكوادر الديمغرافية والخسائر البشرية التي نتجت عن أزمة الجوع والوباء في بلاد المغرب الأقصى ولم نصادف أي أرقام احصائية يمكن من خلالها وضع جداول تخص الوفيات أو الهجرة هذا الأمر بسبب لنا عجزا كبير في محاولتنا الإحصاء.

2- الهجرة:

من أسباب الهجرة في المجتمعات المختلفة هو البحث عن الأماكن الملائمة للعيش ولقد عرف الإنسان الهجرة منذ أن دب على وجه الأرض، وفي بلاد الإسلامي خلال العصر الوسيط شهدت تحركات بشرية متقلبة شديدة التنوع[1]، بحيث شكلت الأوبئة

[1]- القبلي محمد، حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن 13 هـ- 12هـ، مجلة كلية الدب والعلوم الإنسانية، ع 21- 22، 1991- 1992م، ص: 47.

والمسغبات سببا هاما لهذه الظاهرة هروبا من الواقع الذي كانوا يعيشون فيه ووفا من الأمراض المعدية والتعامل معها. [1]

وكذلك أدت موجات القحط والجفاف التي عصفت المغرب الأقصى خلال القرن السابع هجري إلى هجرة سكانها ونزوحهم عن أوطانهم بحثا عن المياه انعكس ذلك سلبا عن كل المنطقتين سواء على موطنهم أو على المناطق التي هاجر إليها أدى إلى فراغ رهيب داخل العديد من المناطق والقرى. [2]

لم تؤثر الهجرة على المجال الديمغرافي فقط بل أنها انعكست أيضا على الجانب الحضاري وهذا ما وصفه لنا ابن خلدون في قوله: «والفوضى هالكة للبشر مفسدة للعمران». [3]

لقد كان قرار هجرة الخواص والعوام المغرب الأقصى في فترة نبضت فيه مخازن الدولة ويذكر لنا الناصري عن مضاعفات القحط الشديد، ومن النصوص التي تكشف عمق المعاناة والمحن التي عصفت بديمغرافية الحواضر ما أورده ابن عذارى في قوله: «فكان الضعفاء يخرجون على الأبواب فإن البلد ضاق بهم فأثاروا الفرار بأنفسهم ولم يبق بالبلد إلا أقل ممن لا يستطيع الخروج». [4] ومما يؤكد الطرح ما أورده ابن القاضي النقص السكاني بسبب النزوح الديمغرافي أثناء فترة الجوع خلال القرن السابع الهجري في قوله «تفشت المجاعة العظمى التي خلا فيها المغرب وتوالت به الفتن وعدمت الأقوات»[5]، الأمر الذي جعل

---

[1]- صديقي محمد، الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنيين5- 9هـ/ 11-13 م، عاشوري قمعون، كلية الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2021، ص: 165.

[2]- سعيد بن حمادة، الخطاب الإسلامي في تلمسان خلال القرن 8هـ/ 14م، من خلال الواسطة السلوك لأبي حمو موسى الزياني: عصور جديدة، ع 2، وهران، 2011، ص: 58.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص: 152.

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص: 326.

[5]- ابن القاضي، جذور الاقتباس في ذكر من حلى من الأعلام مدينة فاس، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1393هـ/ 1973م، ص: 34.

الخليفة المريني أيوب أبو بكر بن عبد الحق عام (646 هـ- 1248م) إلى تهجير القبائل الجبلية وتعميرها للسهول الفارغة وعمارة القرى والمحاشر الخالية وسكن الوطية. [1]

وكخلاصة القول أن المسغبة والوباء من الأسباب التي تغرم الإنسان على الهجرة والهروب إلى واقع أفضل وهو سلوك يعكس رغبته في البقاء ومصارعة الموت البطيء بكل الطرق بما فيها الهجرة وهذا ما انعكس على البنية الديمغرافية.

[1]- ابن القاضي، المصدر السابق، ص: 35.

المبحث الثالث: دور السلاطين في أوقات أزمة الجوع والوباء

بعد دراستنا للوضع الاقتصادي في المغرب الأقصى في العهد المريني تبين لنا مدى حرص السلاطين واهتمامهم بالدولة ليحقق ازدهار اقتصادها وتحسين المستوى المعيشي لرعيته وهذا ما ذكره لنا ابن عذارى في قوله: «فما قدموا عملا من الأعمال قبل تمهيد البلاد والضرب على أيدي أهل الفساد فأمنوا السبل وسدوا الخلل فاتسعت أحوالهم وانبسطت أموالهم فصار أهل تلك البلاد يعظمونهم غاية الإعظام ويعاملونهم بالبر والإكرام»[1]، ومن أهم السلاطين الذين اتصفوا بالخير والمحبة لرعيته "الأمير محمد عبد الحق" كان معروف بالصلاح «مخلص العهد مع رعيته وقاهر لأعدائه حافظا على سلامة وأمن دولته».[2]

وخلفه من بعده ابنه عثمان بن عبد الحق اتصف بصفات أبيه كان شديد على بناء الدولة المرينية واهتم بمصالح رعيته حيث أخذ البيعة من القبائل المجاورة لحظ أمن واستخدم أسلوب الترهيب فمن أطاعت له أمنها وألزمها الخراج وأخرج لهم الحفاظ ومن كانت غير ذلك فتح بلادها بالقوة[3]، حيث أشار ابن زرع في قوله «فلم يزل على السنن قويم والهدي المستقيم حتى أتاه اليقين».[4]

أما السلطان أبو بكر بن عبد الحق المؤسس الحقيقي للدولة المرينية قام بعدة أعمال من بينها تنظيم الإداري والسياسي والمالي تقسيم البلاد بين القبائل حتى يعم الأمن والرخاء وأصبحت كل قبيلة مسؤولة عن جباية المنطقة التي تتبعها، في عهده ثم الاستلاء على فاس التي كانت تحت حكم الموحدين عمها الاستقرار وهذا ما دفع الناس إلى عمارة القرى

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص ص: 388- 356.

[2]- ابن زرع، الذخيرة السنية، ص ص: 288- 289.

[3]- ابن زرع، الأنيس المطرب، ص: 30.

[4]- ابن زرع، الذخيرة السنية، ص: 300.

وحرث الأراضي وهكذا انتشر الأمن وعم الرخاء وتأمنت الطرقات وأثرت التجارة واصبحت فاس عاصمة الدولة المرينية.

الأمير يعقوب بن عبد الحق (656 هـ- 1258 م) تميزت فترة حكمه بازدهار الاقتصادي وهذا ما ذكره صاحب الأنيس «في السنة التي ولي فيها الأمير يعقوب زمام الحكم أنزل الله تعالى على أهل المغرب بركات وفتح عليهم الخيرات فرأى الناس فيه الدعة والخير مالا يوصف ولا يقوم أحد بشكره ببيع الدقيق فيها بمدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب ربع بدرهم والقمع ستة دراهم للصحفة والفول وجميع القطاني مالها سوم ولا يوجد من يشتريها والعسل ثلاثة أرطال بدرهم والزيت أربعون أوقية بدرهم والكبش بخمسة دراهم والزيت درهم ونصف للربع والتمر ثمانية أرطال بدرهم واللوز صاع بدرهم والشابل الطري فرد بقيراط، والملح حمل بدرهم وذلك ببركة ويمن خلافته وحسن سيرته ونيته».[1]

كما عرف عنه بأنه ذو عزم في ساسته تجاه رعيته وقاهر للطغاة المفسدين متوقفا في سفك الدماء[2]، ومن أعماله أيضا بنائه لسور الغربي لتأمين البلاد من الخطر كما ضم مدينة مراكش (668 هـ/ 1269 م). [3]

استقرت أمور البلاد والعباد وأصبحت الطرقات آمنة حسب قول ابن زرع: «فلا ثائر ولا قاطع ولا فاسد ولا ملحد»[4]، حتى قيل فيه:

فَأَمَنَ العَرَبَ مِنَ الفَسَادِ وَنَشَرَ العَدْلِ عَلَى العِبَادِ
وَلَمَ يَدَعْ فِي العَرَبِ مَنْ يَجُوز وَزَلَتْ الأَهْوَالَ وَالفُجُور
وَرَفَعَ الظُلْمَ عَنْ الرَعِيَةِ وَقَمَعَ الطُغَاةِ فِي البَرِيَة[5]

[1]- ابن زرع، الأنس المطرب، ص: 302.
[2]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 210.
[3]- ابن زرع، الأنيس المطرب، ص: 307.
[4]- مصدر نفسه، ص: 307.
[5]- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ج1، 1994، ص: 199.

وفي سنة (685 هـ- 1288م) في عهد السلطان يوسف اهتم بالرعية وقام بتوزيع الأراضي للقبائل الموالية نواحي المغرب فحملوا على استصلاحها واستثمارها[1]، وأمن الطرقات مثال على ذلك ما قام به مع عرب المعقل الذين كانوا يقومون بقطع طريق سلجماسة[2]، كل الأعمال التي قام بها السلاطين المرينيين كانت تخدم سكان حتى يوفروا لهم حاجياتهم اليومية واهتم الأمير يعقوب بن عبد الحق بالجانب الزراعي أيضا وعمل على توفير الإنتاج الزراعي في أراضي المغرب كالقمح والشعير في السهول الغربية وعلى الأودية الشمالية الشرقية مثل فاس ومنطقة وكالة ومدينة سلا التي اشتهرت بزراعة القطن والكتان[3]. واهتم بالصناعة الحربية، لمواجهة الخطر وصناعة السفن مثل دار السفن بسلا.[4]

أما عن التجارة في المغرب الأقصى كانت من البرامج الأساسية لدى السلطة بعبارة التجارة تحرز الاقتصاد كما عمل السلطان يوسف بناء الأسواق «وبنى في المدينة الأسواق من باب القنطرة إلى باب عيون صنهاجة»[5]، كما كانت العلاقات التجارية مع ممالك الإسبان تصدر الدولة المرينية لهم الحبوب بكمية كبيرة الأمر الذي أدى إلى تحديد سعرها دون تخليص الرسوم عليها وهو أمر محفز للنهوض باقتصاد المريني وتصدير (الجلود، الصوف) إلى مصر والدولة الحفصية.[6]

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 171.

[2]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 378.

[3]- المنوني، ورقات، ص: 111.

[4]- محمد شريف، سبة الإسلامية عصر الموحدين والمرنيين، تق: أحمد بن عبود، (ط1)، منشورات جمعية تطوان، الرباط، 2006م، ص: 49.

[5]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص: 162.

[6]- نضال مؤيد، المرجع السابق، ص: 108.

كل هذا يوضح لنا مدى نجاح التجارة التي تخدم سكان بلاد المغرب المريني وتعزز مستوى المعيشي لهم، حتى العمران عرف ازدهار هائل بنيت أسواق ودور عظيمة ومارستان. [1]

الأمير أبي سعيد عثمان المريني (710- 731 هـ/ 1310- 1331م) عرفت فترة حكمه بالخير والرخاء «جنات ذات منزل رحب ومنزل عذب وظل ظليل وحرز كفيلا وخير كامل متخذ الحق في إمامته راعفا لدعوة المظلوم حجابه».[2]

وكان حال السلطان أبو الحسن المريني (731- 752 هـ/ 1331- 1351م) عمل على الأمن الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي اهتم كذلك بتحصين القواعد البحرية «فتطوقت على جيل فرأت عجائب ما بناه مولانا أبو الحسن وما عدا فيه من العدد ولو كنت ممن رابط فيه طول العمر».[3]

«كان عادلا في رعته»[4]، هذا ما ميز فترة حكمه من رخاء ورزق على الناس سبب اهتمامه بالعدالة اهتم بالمسافرين للحج «بقيام يأمر بسكنها على مقدار اثنا عشر ميلا يسكنها أهل الوطن ويجري لهم في ذلك اقطاع من الأرض يأمرونها على قدر الكفاية يلزمون فيها بيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون من المرافق التي يضطرون إليها هم وبهائهم ويحرصونهم ويحيطون أمتعتهم فكان المسافر لا يخاف في ذهابه وإيابه».[5]

[1]- السلاوي، المرجع السابق، ج3، ص: 80.

[2]- ابن أبي زرع، الأنيس، ص: 397.

[3]- ابن بطوطة، لرحلة ابن بطوطة (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تح: عبد المنعم عزيات ومصطفى القصائص، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ص: 211.

[4]- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: 23.

[5]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص: 429.

اتبع السلطان أبو عنان فارس (749-759 هـ/ 1348- 1358م) نفس أسلوب السلاطين الأوائل حيث قام بناء مدارس وفرت واسطبلات ودكاكين حوالي أربعة وسبعين ذكانا من أجل الانفاق على طلبتها وأساتذة. [1]

بعد ان كادت أن تتلاشى الدولة المرينية استطاع السلطان أبو فارس (767 هـ- 1365م) استطاع النهوض بها من جديد نشر الأمن والطمأنينة في نفوس رعيته «كان محبا في الخير وأهله».[2]

- رفع الضرائب:

لقد برزت جهود بعض السلاطين في متابعة أحوال الرعية والاستماع إلى أمورهم برفع الضرائب والمغارم عنهم فهذا السلطان أبي سعيد عثمان المريني عرف بمعاملته الحسنة للخاصة والعامة، والاستماع إلى أمور رعيته، فكان يباشرها بنفسه فرفع المظالم عن الناس وحط المغارم، ورفع عن أهل فاس الضرائب على حد تعبير ابن زرع «رفع عنهم ما كان يلزم رياعهم من الوظائف المخزنية كل سنة»[3] كما كان الناصر الدين الله يوسف بن يعقوب (685هـ- 1288م) متفقدا أحوال البلاد ورعية رفعا ولاغيا الضرائب التي كان الفلاح يتحمل وزرها حسب قول صاحب القرطاس «وأزال المكوس ورفع الإنزال عن دور الرعية»[4]، ويتمثل بروز دور السلطان أبي الحسن المريني رفع المكوس من البوادي والحواضر ورفع عن الناس وأصحاب البساتين مكس والخرص الذي كان عظيم المضرة على الرعية حتى أن بعض منهم قطع جنته بسبب وظيف والخرص.

[1]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط1، 1984، ص: 158.

[2]- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: 52-60.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 397.

[4]- المصدر نفسه، ص: 375.

ونـزع عـنهم أيضـا وظـائف اسـتغراق السـلع[1]، كمـا أزال مغرمـا آخـر عـن أهـل سلجماسة يسمونه الجمون في الدخل والزرع والتزموا بدفع خراج الزكاة والعشر فقط. [2]

ورفـع المغـارم الـتي كانـت توظـف علـى جميـع الرؤوسـاء والأشـخاص، صـغير أو كبـير قـوي أو ضـعيف حـتى الرضـيع مغرمـا يخصـه حـتى صـارت مـن الجزيـات المفروضـة علـى أهـل الذمـة فأسقط كل ذلك ورد المغارم على الأموال والأملاك بحسب القدرة. [3]

إذ علمـوا علـى تحقيـق المكاييـل المغربيـة وتحديـد الصـاع أيـام حـدوث المسـغبة (693 هـ- 1296 م) «كانـت المجاعـة الشـديدة والوبـاء العظـيم فكـان النـاس يحملـون مـن الوتـد أربعـة وثلاثـة واثنتـين علـى نعـش وبلـغ القمـح فيهـا عشـرة دراهـم للمـد والـدقيق سـتة أواقـي بـدرهم وفيهـا أمـر أمـير المسـلمين يوسـف بتبـديل الصـيعان وجمعهـا علـى مـد النـبي عليـه أزكـى الصلاة والسلام»[4]، استقام الحال وصلح أمر الناس.

- وسائل وطرق العلاج:

إن المجتمـع المغـربي كغـيره مـن الأمـم الـتي سـبقته عـانى وتـألم مـن ويـلات تلـك الأمـراض والأوبئـة الـتي اختلفـت بـاختلاف أسـبابها لكنـه لم يقـف مكتـوف والأيـدي بـل عمـل التصـدي لها ومعالجتها بمختلف الطرق والأساليب فهي كما يلي:

1- العــلاج الروحــي: وهــو عــلاج وهمــي تتــدخل فيــه بركــة الــوالي لعــلاج بعــض الأمـراض المستعصـية مقابـل ثمـن رمـزي ويكـون العـلاج أحيانـا بـاللمس أو الريـق وذلـك مـا اشـتهر بـه بعـض المتصـوفة مـن المغـرب الإسـلامي[5] ومـن بـين تلـك الأسـاليب المتخـذة في هـذا العلاج.

---

[1]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص: 323- 233.

[2]- المصدر نفسه، ص: 283.

[3]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص: 284.

[4]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 384.

[5]- سـهام مقـدم، الطـب والأطبـاء بتلمسـان في عهـد الدولـة الزيانيـة (633- 923 هـ/ 1235- 1517م)، رسـالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة سيدي بلعباس، 2010، ص: 47.

2- الرقيــة: العـوذة الـتي يرقـي بهـا صـاحب الآفـة كـالحمى والصـرع وغـير ذلـك مـن الآفـات[1]، يقـال وعـاذ بـه لاذ بـه ولجـأ إليـه واعتصـم ويقـال عـوذت بـالله وأسمائـه وبمعـوذتين إذ قلـت أعيـذك بـالله وأسمائـه مـن كـل شـر وكـل داء وحاسـد[2]، وهـي مـن الطقـوس القديمـة عنـد العـرب والـتي ذكرهـا القـرآن الكـريم ﴿**وَأَنَّـهُ كَـانَ رِجَـالٌ مِـنَ الْإِنْـسِ يَعُـوذُونَ بِرِجَـالٍ مِـنَ الْجِنِّ**﴾.[3]

سـلك أوليـاء المغـرب أيلـوب العـلاج بـالرقى للمـرض ذوا العاهـات المسـتديمة وعـلاج الصـرع والجـن والعـين ومثـال ذلـك مـا أورده الـبرزلي عـن بعـض الرقـى الـتي تخـص إزالـة الوجـع وأخـرى لحـل المعقـود مـن الرجـال وتسـهيل عسـر الـولادة[4]، كمـا كانـت الرقيـة تسـتعمل لـبعض الأمـراض الوبائيـة المزمنـة فقـد تنوعـت أشـكال ووسـائل الرقيـة والـتي تمثلـت في الـدعاء والنفـث علـى مواضـع العلـة وهـي كرامـة اشـتهر بهـا الشـيخ "أبـو يعـزى"[5] بـالمغرب الأقصـى ويبـدوا أن هـذه الطريقـة سـاهمت في شـفاء العديـد مـن الأمـراض مثـل الجـذري والجـذام الـذي اسـتعص أمـره علـى الأطبـاء فكـان الأوليـاء يقومـون بمعاينـة موضـع العلـة والنفـث عليهـا ولمسـها ودلكهـا باليـد تبرأ في الحين وهذا في باب الكرمات.[6]

كمـا عـد الـدعاء أحـد أسـاليب العـلاج الاستشـفائية الروحيـة علـى اعتبـار أن الأوليـاء الصـالحين مسـتجاب مـن الله لتقـواهم وزهـدهم، وثم رقيـة خاصـة مـن يرقيهـا لا يصـيبه الطـاعون والجـذري ونافعـة كثـيرا لوجـع الأسـنان ووجـع الأذنيـين حيـث يأخـذ مـن مـاء المطـر ويوضـع في

---

[1]- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، (د. ط)، دار صادر، ج6، بيروت، (د.ت)، ص ص: 209- 2010.

[2]- ابن منظور، ج 10، ص: 329.

[3]- سورة الجن، الآية: 06.

[4]- البرزلي، المصدر السابق، ج6، ص ص: 490- 488.

[5]- هـو أبـو يعـزى آل نـور بـن عبـد الله كـان آيـة الله تعـالى، كـان أمـره عجيبـا بلغـت كراماتـه حـد التـوتر، يقـال أنـه مـن بـني صـبيح مـن مسـكورة، كـان قطـب عصـره وأعجوبـة دهـره وإمـام وقتـه يقـال عنـه "إليـه انتهـت تربيـة الصـدقين والسـالكين بالمغرب فقد بلغ مقامات اليقين، ينظر: أحمد الشاذلي، المصدر السابق، ص ص: 64- 67.

[6]- مزدور سمية، المرجع السابق، ص: 176.

إناء وتقرأ عليه الفاتحة سبعين مرة ثم يشرب من ذلك الماء سبعة أيام متتالية على الريق وعند العشاء، كانت معروفة عند الرسول صلى الله عليه وسلم.[1]

2- العلاج المادي:

يتواجد هذا العلاج بالبوادي أكثر من الحواضر بحيث أن المدن تحتاج إليها أكثر من البوادي كونه يرى: «أن أصحاب البوادي لهم طبا نبوية على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص الذين يتداولونه متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج»[2]، وذلك يفسر عدم حاجة البوادي إلى أطباء كما في المدن، وهو علاج يعتمد على التجربة المتراكمة عبر السنين وأغلب القائمين على هذا العلاج هم من الشيوخ والمسنين يشاف إليهم بعض الحرفيين كالحجامين والذين كانوا يهتمون بالحلاقة وقلع الأسنان وضعوا هؤلاء المعالجين مجموعة من الوصفات للتغلب على الأمراض التي كانت شائعة كوجع الرأي والمعدة والحروق.[3]

- التداوي بالأعشاب:

احتوت العديد من المصنفات الطبية على وصفات اهتمت بأمراض الإنسان من الرأي إلى القدم[4] واشتملت على طرق علاجية كان أساس تكوينها الأعشاب والنباتات والزيوت وأنواع من الأطعمة والأشربة وهو ما بين أن العلاج كان يولي اهتمام كبير للأعشاب. فالعشابون هم أشخاص من الناس لهم دراية بمفعول تلك الأعشاب الطبية على جسد الإنسان من خلال تجاربهم.

---

[1]- أحمد الشاذلي، المصدر السابق، ص: 123.

[2]- المصدر نفسه، ص: 380.

[3]- سهام مقدم، المرجع السابق، ص: 45.

[4]- ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، تح: محمد سعيد أبو شعر، ط1، المكتب الإسلامي (د. ن.م)، ج3، 2008، ص ص: 273- 277.

معالجة الأمراض: المجتمع المغربي كغيره من الأمم التي سبقته وكذا المعاصرة له قد عانى وتألم من تلك الأمراض والأوبئة التي اختلفت باختلاف أسبابها، ولكنه لم يقف مكتوف الأيدي بل عمل على التصدي لها ومعالجتها بمختلف الطرق والأساليب منها: النبق استعمل لعلاج داء الإسهال عند المغاربة منها: الحلق، ومهدئ ومكافح للسعال ومسكن للصفراء، ونافع للصدر وفوائده تماثل فوائد البلح والتين في مواضع عدة، كما يدبغ للمعدة وينفع في الربو ووجع المثانة والكليتين[1]. كما اعتبروا أن لحكم السلحفاة مفيدة في مرض الجذام شريطة أن يتناوله المريض لمدة سبعة أيام متتالية وأن لا يتعدى عمر السلحفاة سبع سنوات. [2]

كما كان المغاربة يعالجون النزيف بمسحوق اليقطين ودقيق الفول[3]، أو باستعمال الثلج أو الماء البارد[4]، ولتضميد القروح استعملوا الزيت الغليان أو القطران الساخن والحناء والفحم وصمغ الصنوبر لاستئصال جراثيم التعفن[5]، وعالجوا أمراض الأذن بالجاوي والزعفران والزيت وعصير ناب الذيب[6]، وبالنسبة للأسنان المسوسة فقد كانوا يستعملون لها مزيج من الثوم والملح والحريف[7]، أيضا صنعوا من ملاء الورد والبنفسج والقرنفل مختلف مختلف أنواع المراهم والمساحيق استعملوها في عملية الدلك التي كانوا يلجؤون إليها عندما

---

[1]- ابن الوردي عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (749 هـ)ـ منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والرياحين، تح: محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب، (د. ط)، دمشق (د، ت)، ص: 38.

[2]- كريخال مارمول، إفريقيا، تر: عمد جعي وآخرون، مكتبة المعارف، (د. ط) المغرب، 1984، ج1، ص: 83.

[3]- ابن شقرون محمد أحمد، مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة (د. ط)، المغرب، 1985، ص: 120.

[4]- الفاروقي إسماعيل راجي، اطلس الحضارة الإسلامية، تح: عبد الواحد لؤلؤة، مكتبة عبيكان، ط1، الرياض، 1998، ص: 468.

[5]- بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (د.ط)، المملكة المغربية، 1996، ج1، ص:

[6]- ابن شقرون، المصدر السابق، ص: 223.

[7]- بن عبد الله، المرجع السابق، ص: 71.

يصاب المريض بكسر حيث نجد أن من الورد يسكن أوجاع الدماغ، وينفع من أورام الدماغ، والخدر والرعشة وينفع العصب، منشفا للبلغم الذي في رأس قاطع للزكام. [1]

إلى جانب العلاج بالأعشاب تعاطي عامة المغرب الإسلامي العلاج الطبيعي في الحمامات العيون المنتشرة في بلاد المغرب لنجاعة مياهها في شفاء بعض الأمراض كالفالج، الجذام الحمى والخدر أيضا تطهير الأبدان، وفي هذا الصدد يذكر الجزنائي حول نهر الجوهر بفاس: «وليس لهذا النهر نظير لصفاته وعذوبة مائة وخفته وبرودة عيونه في زمن الصيف وسخانتها في زمن الشتاء، وهو يسخن سريعا، ويبرد سريعا، وينهضم سريعا، وهذه الصفات محمودة عند الأطباء...ومن منافعه أنه يفتت الحصا التي تكون في المثانة، ويزيل الصبيان من الرأي والقمل من الجسد لمن اغتسل له ودوام على شربه». [2]

ولم يقف اعتقاد سكان بعض مناطق المغرب عند نجاعة مياه العيون في شفاء الأمراض فقط بل كان عندهم رأس عين بمنبع سبو، في ببئر غامض بها، كانوا يدخلون إليه من به مرض مزمن ويغطس فيه حتى يكاد يموت ثم يخرجونه فإن خرج على فمه دم، استبشروا خيرا، وإن حدث العكس تأكدوا على موته[3].

ويمكن القول بأن بتنوع الأوبئة المنتشرة في بلاد المغرب وطرق علاجها متنوعة إلا أن العلاج الطبيعي كان أكثر انتشارا وتداولا.

---

[1]- بن عبد الله، المرجع السابق، ص: 223.

[2]- الجزنائي، المصدر السابق، ص: 34.

[3]- سعد زغلول، عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الموحدون مصامدة السوسن الجباليون ورثة المرابطين تأسيس الدولة وقيامها (500- 558هـ/ 1100- 1163م)، منشاة المعارف (د.ط) الاسكندرية، (د. ت)، ج5، ص: 116.

– جهود بعض الفقهاء:

مما لاشك فيه أن مشاركة الفقهاء والصلحاء للطبقة الفقيرة والمستضعفة وأزماتهم كان السمة الغالية على معظمهم، بحيث تمثل دورهم في قضاء حوائجهم مستخدمين مكانتهم التي يتمتعون بها عند السلطة، كما ساهم أيضا البعض في تقديم ما يملكونه من مال لصالح الفقراء، والأيتام ومنح لهم الزكاة وحفظهم من شيخ الفقر.

1– دورهم في تقديم المساعدات المادية للفقراء:

لم يكن الفقهاء والصلحاء بمعزل عن المجتمع في المغرب الأقصى بل شاركوا مجتمعهم همومهم وآلامهم متمسكين بتعاليم الإسلام، وما دعت إليه السنة من الحث على التعاون والتضامن وذلك من أجل تخفيف الهموم على الضعفاء والمحتاجين في أوقات الشدة والأزمات، عن طريق الانفاق والعطاء وإخراج الصدقات والزكوات لهم، ولدينا من القرائن ما يدل على ذلك، فالفقيه محمد بن موسى الحلفاوي نزيل فاس الإشبيلي الدار، فقد كان له الإذن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع الأشرار عن بغيهم المعتاد، كان معظما عند الخليفة أبي عنان، وربما لصدقته ما ينفع بها المحتاجين من جميع المؤن كالقوات واللباس فمن خدمته أنه كان يطوف على الفقراء والمحتاجين.[1]

وكان الشيخ الفاضل العالم الحجة الزاهد العارف بالله أبو العباس السبتي مقصود في حياته من طرف الناس، مستغاثا به في الأزمات، عرف بالإحسان مع جميع الناس حتى أنه أجاب على أحد السلاطين لما سأله إلى متى تحير نار لا تفصح لنا عن الطريق فقال له: هو الإحسان فقال له بين لي، فقال كل ما أردت أن يفعله الله معك فافعل مع عبيده، واشتهر كذلك بعطفه ورجمته للأرامل والأيتام، وكان يصرف أجرته على الطلبة الغرباء[2]، كما يروي أن جاءه رجل كان غني ثم افتقر وشكى حاله له فأخذه بيده إلى مكان ظاهر فأعطاه ثوبه

[1]– المنوني، مرجع السابق، ص 414.

[2]– التنبكتي باب أحمد (ت 1036 هـ– 1327م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1410 هـ– 1989م، ص 72.

الذي يلبسه[1]، وهذا ما يبين إحسانه ومساعدته للفرقاء المحتاجين بمختلف الطرق إما ماديا أو بالدعاء أو بالكرامة.

وبالمثل كان الفقيه موسى بن محمد بن معطى الشهير بالعبدوسي من العطوفين على الفقراء والمحتجين وذلك من خلال تقديم مساعداته لهم فيروي عنه أنه إذا حرث يخرج الضعفاء تسعة أعشار من صابته ويمسك عشرها عكس الزكاة ويقول «من سوء أدبي أخرج الشعر وأتمسك بالتسعة»[2]

كما عرف عن الولي الصالح احمد بن المطارحي (ت 724 هـ- 1428م) العابد الزاهد، بحبه وعطفه وإيثاره على المساكين والإحسان لهم[3]، وكان لبعض الأوقاف التي أوقفتها بعض الفقهاء والعلماء على الفقراء والمساكين دور كبير في مساعدتهم.

كما سعى الفقيه اللجائي مسعى علماء وفقهاء وقته، بتقديم بعض المساعدات المادية وحسبنا في ذلك شهادة ابن قنفد «كان ساعيا في حوائج المسلمين، وتفريق الصدقات على الفقراء والمساكين، ونصر المظلوم، وكان يجري على المحتاجين عنهم بالنفقة المرتبة اليومية»[4]، كما كان له بعد النظر في بعض الأمور الاجتماعية النبيلة لهؤلاء المحتاجين مثل: تزويجهم حسب قول ابن قنفد: «...ومزال يعين من احتاج منهم إلى التزويج».[5]

وهذا عبد الرحمن بن يعقوب بن علي من خيار الصالحين الفضلاء، يقول عنه ابن مرزوق «حضرته يوما، وقد جاءه ضعيف يشتكي الجوع عياله، وكانت سنة مجاعة، فأمر من جاء الفرن بخبز عياله، وأهل دياره فقال لها: ذهب بخبزكم من هو أشد حاجة منكم، وسيأتيكم، إن شاء الله أكثر وأطيب، فما أتم كلامه إلا ومائدة كبيرة جاءته بعثها إليه أحد

[1]- التنبكتي باب أحمد، المصدر نفسه، ص 74.
[2]- المصدر نفسه، ص 604.
[3]- ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص 17.
[4]- ابن قنفد، المصدر السابق، ص 77.
[5]- المصدر نفسه، ص 77.

القواد»[1]، وبالمثل كان الفقيه أبي العباس أحمد المدعو القباب من أهل فاس وممن يعرف بالفضل والدين متواضعا مع العام والخاص، حافظا جناح الرحمة للضعفاء والمساكين. [2]

وكان للشيخ المبارك أبو عبد الله بن يحي، من أصحاب سيدي أبي العباس، بارق في الخير وإيثار كبير على إخوانه وتحن على الضعفاء والمساكين.

وكان للشيخ المبارك أبو عبد الله محمد بن يحي، ممن لاح له بارق في الخير، وإيثار كبير على إخوانه وتحسن على الضعفاء والمساكين، وما كان يدخر من قوته إلا قدر كفاية عائلته، ويتصدق بالباقي على ذوي الحاجات.

كما لاح الشيخ الحاج المبارك أبو الفضل محمد بن أبي مدين العثماني في العطف والرحمة على هذه الفئات، عرف بتواضعه مع الخاص والعام، كان ياسر الطعان رحيما بالمساكين، شفيقا على المستضعفين.[3]

ب- دورهم في التوسط وقضاء الحوائج:

ومثال على ذلك الفقيه إبراهيم بن عبد الله بن زيد بن أبي الخير اليزناسي، عرف بالفضل والانصاف، كان قاضيا لحوائج المسلمين من أجل مصالحهم ونجد أيضا العالم الفقيه عليم بن عبد العزيز بن هاني العمري يسبقه للأعمال الخيرية للفئات المحتاجة، حيث قال عنه ابن عباد «كان مسرعا لقضاء حوائج الناس سندا لهم فيما يظل يومه ساعيا في مأربهم مهتما بأمورهم».[4]

كما سعا الفقيه الفذ المجتهد إلى فضل الطبع والكرم وسني الأعمال مهتم بشؤون كل المسلمين.

---

[1]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص: 299.

[2]- الحضرمي، المصدر السابق، ص: 85.

[3]- المصدر نفسه، ص: 59.

[4]- التنيكتي، مصدر السابق، ص: 348.

أبو الربيع سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسي، كثير المواساة، شديد الحرص على عمل الحسنات، أخذ بالتوسط في جميع أموره.[1]

بلغ عنه الناس أنهم كانوا يلجئون إليه في وقت الشدة فيدعوا لهم إذا أصابتهم مجاعة أو مرض فيذهب الله عنهم ما أصابهم مثل ما روي عن أبو الوليد إسماعيل بن أحمر قال: «ما رأيت أعجب من بركة الشيخ أبي الربيع الأنفاسي، وذلك أن أهلي من عادتهم أن يصيبهم في رأسهم طارق ووجع مبرح أي الأطباء، وتكرر عليها ذلك حتى أشرفت على الهلاك ففزعت لبركته وقصصت عليه قصة فكتب لها تميمة، فوالله ما وضعتها على رأسها إلا سكن الوجع لحينه وذهب البأس والحمد لله».[2]

وبرزت أعمال الفقيه أبو العباس أحمد البرنسي، كان مقصودا لدى الناس لقضاء حوائجهم ومثال على ذلك «أن رجلا أتاه يشتكي من ولد الأمير أبا الحسن لأنه أخذ له ماله وجاريته واشتكى الرجل إلى الأمير لكن لم يقضي له حاجته، فقال له الشيخ امض الساعة واجلس بباب الدار ولد الأمير لكن هذا الأخير لم يستقبله فدعا عليه فمات «عندما جاء الأمير أبو الحسن إلى الشيخ طالبا عفوه وأرجع مال الرجل وجاريته».[3]

وقيل عنه أنه كان في بعض الأحيان يمشي حافيا في الطين لقضاء حوائج الناس أو تغيير منكر ويدخل مجالس الأمراء بحالته، فإذا قضى حاجته غسل رجليه وانتعل، وكأن له النظر في أحوال المسلمين، والوساطة في الصدقات عليهم، والمبالاة بأمرهم.[4]

وتعاظمت مساعي وأعمال الفقهاء في النظر في شؤون هذه الفئات المحتاجة سواء مادية أو معنويا بحيث هذا الفقيه أبا عبد الله الجناتي العالم الصالح كان يبادر إلى خدمة

---

[1]- ابن عيشون، الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحرير: زهرا النظام، منشورات كلية الآداب والرباط، مطبعة نجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص: 300.

[2]- الحضرمي، المصدر السابق، ص: 76.

[3]- المصدر نفسه، ص: 76.

[4]- المصدر نفسه، ص: 84.

الغريب المريض ويسعى في أمره وكان الصلحاء يعظمونه، وحذا حذوه الشيخ أبو عثمان سعيد ابن توالا التقي الصالح الفاضل، كان كثيرا الاجتهاد في القضاء حوائج المسلمين. [1]

وخلاصة القول أن الرعاية الاجتماعية بالفقراء والمساكين كانت من أولويات العلماء والفقهاء والصلحاء أهل بلاد المغرب الإسلامي عامة إلا أن المصادر التاريخية اعترتها نوعا من الضبابية حول دورهم مجهوداتهم تجاه هذه الفئات من المجتمع، على خلاف ما حظيت به أعمالهم وجهدهم من قبل المؤرخين لذلك اقتصرنا على ذكرنا بعض جهود السلاطين ومساعي بعض الفقهاء.

[1]- الحضرمي، المصدر السابق، ص 60.

خـــاتـــمـة

خاتمة:

إن المسغبات والوبئة من أشد الأزمات التي تهدد حياة سكان المغرب الأقصى في الفترة ما بين (القرن السابع إلى التاسع الهجري)، أدت إلى خلل في الكثير من الجوانب الدولة المرينية.

1- كانت دولة بني مرين أقوى دول المغرب التي ورثت دولة الموحدين واستطاعت فرض سيطرتها على بلاد المغرب الأقصى بفضل حكمت سلاطينها.

2- أما وضعها الاقتصادي فكان في ازدهار كبير بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي في المغرب الأقصى على خطوط تجارة وتحكمها بمنافذ البحر المتوسط الغربية (مضيق جبل طارق) بإضافة إلى تنوعها بالمحاصيل من ثروات نباتية وحيوانية حيث انتعشت بلاد المغرب اقتصاديا مما توفرت عليه من منتوجات مختلفة ومتنوعة جعلها محط أنظار واستقطاب التجار.

3- كان المجتمع في العهد المريني متكون من عناصر من السكان منهم البربر والقبائل العربية والأندلسيين واليهود والعبيد.

4- لقد تعرض المغرب الأقصى خلال الدولة المرينية إلى مجموعة من المسبغات جعلت حياة الإنسان المغربي مهددة.

5- عرفت الدولة المرينية عدة أمراض مستعصية وأوبئة كالطاعون انعكست سلبا على الواقع الاجتماعي وبالتالي هددت حياة سكان البلاد.

6- الأسباب المؤدية لحدوث أزمة المسغبة تمثلت في الأسباب السياسية تنظم الخلافات السياسية بين الدول المجاورة لدولة المرينية فساد الحكام وأنظمتهم السياسية أما الأسباب البشرية تظم الحروب والفتن خاصة بين الكيانات الثلاثة (الزيانية والحفصية والمرينية) أما لأسباب الطبيعية العامل المناخي فهو ناتج أساسيا عن تذبذبها المناخ لأن كثرة الأمطار وقلتها من شأنها أن تحدث كوارث طبيعية كالقحط والفيضانات والثلوج والبرد وغيرها فإن قل الماء يقل الغذاء فيؤدي ذلك إلى مجاعة أما إذا كثر تساقط الأمطار يؤدي

إلى حدوث فيضانات تهلك المحاصيل الزراعية فتظهر المجاعة، أما الأسباب الاقتصادية تمثلت في الضرائب التي كانت تفرضها على الرعية وغلاء الأسعار الذي أدى في نهاية المطاف إلى انتشار المجاعة.

7- أما الأوبئة فقد حصروا الأطباء أسباب حدوثها في فساد الهواء والمياه تتذبذب المناخ والمجاعات وغلاء الأسعار ونفاذ الأغذية من المخازن، وهذا ما دفع سكان المغرب إلى تناول بعض الحشائش البرية واللحوم الميتة مما أدى إلى انتشار الأمراض والأوبئة.

8- لقد انتجت المسغبات والأوبئة أثار سلبية على سكان المغرب الأقصى أثار الاجتماعية أوقات الأزمات فرضت على المجتمع المريني نمطا حياتيا لم يستطيع الأفراد التأقلم معه فلجأت العديد من الفئات إلى مهنة اللصوصية والتسول حتى يتحصلوا على المال والطعام كمبرر لزمان الفقر والجوع.

9- تمثلت المظاهر الديمغرافية للمجاعات والأوبئة في الوفيات كانت من أبرز الانعكاسات الديمغرافية أيضا ظاهرة الهجرة التي أدت إلى تحولات ديمغرافية لبلاد المغرب.

10-لتجاوز هذه الأزمات أبرز دور وجهود بعض السلاطين المرنيين عن طريق التكافل والتضامن في أوقات المحن والشدة وتقديم المساعدات المادية كفتح المخازن والمطامير للمتضررين جوعا وإزالة بعض المغارم والضرائب على الرعية.

11- لعبت السلطة الحاكمة دورا كبيرا في السبيل القضاء على الأوبئة والأمراض أو على الأقل التقليل من خطرها فعملوا بعض السلاطين على تجهيزها بكل ما تحتاج إليه والانفاق عليها.

12- عملوا على التصدي لهم ومعالجتها بمختلف الطرق والأساليب.

13- كما نوهت الدراسات بدور الفقهاء والصلحاء في أوقات المحن والشدائد وتجلت صورة أخرى من صور التكافل مع الفقراء والمعوزين في تحسين لهم بعض الأوقاف لضمان لهم مورد يسترزقون منه وحماية لهم من خطر الجوع والوباء.

وختاما كانت هذه جل النتائج التي خرجنا بها من بحثنا هذا راجين أن يكون قد وقفنا ولو حد قريب لمعالجة هذا الموضوع الشيق.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن أبي زرع الفاسي 729 هـ/ 1328م:

- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ط2، 1972.

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار الملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار منصورة للطباعة والوراقة، الرباط، (د.ط)، 1972م.

2- ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن السيباني ت (606 هـ/ 1209):

- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1982، ج3.

3- ابن حوقل أبي القاسم النصير ت (367 هـ/ 978م):

- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992م.

4-ابن عذارى المراكسي أبو العباس أحمد بن محمد ت (695 هـ/ 1295م):

- البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، تح: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ط2، 1403 هـ/ 1983، ج4.

5- ابن قنفد القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ت (810 هـ/ 1407م).

- أنس الفقير وعز الحقير، نح: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات الجامعة للبحث العلمي، الرباط، كلية الآداب، 1965م.

6- ابن الخطيب أبي عبد الله محمد عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني الغرناطي ت (776 هـ/ 1375م)/

- مقنعة السائل عن المرض الهائل، تح: حياة قارة، الرباط، ط1، 1436هـ/ 2015م.

7- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الغرناطي (ت 810 هـ/1404م):

- روضة النسرين دولة بني مرين، ت: هاني سلامة، ط1، بور سعيد، مكتبة ثقافة الدينية، 1421هـ- 2001م.

8- ابن مرزوق: أبو عبد الله محمد التلمساني الخطيب (ت 781هـ/ 1379م):

- المجموع، طبع باسم: المناقي المرزوقية، دراسة وتحقيق الزاهري، ط1، المملكة المغربية، الدار البيضاء، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الحاج الجديدة، 1429هـ- 2008م.

9- الإدريسي أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد الحمودي (560 هـ/ 1164م):

- نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، ج1، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989

10- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي ت (814 هـ- 1411م):

- المغرب المعرب وجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1401 هـ/ 1501م، ج1، ج2، ج.3

11- الحسن بن محمد الوزان الفاسي ت (960 هـ/ 1554م) :

- وصف إفريقيا، تر: محمد بحي الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983م، ج1، ج.2

12- المراكشي لأبي محمد بن عبد الواحد علي ت (647 هـ- 1249م)

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، نخبة إحياء التراث الإسلامي، 1973.

13- التمنبكي أحمد بابا الصنهاجي (ت 1036 هـ- 1627م):

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله المراحة، طرابلس، دار الكتاب، ط2، 2000م.

14- البرزلي أبو القاسم بن أحمد (ت 841هـ/ 1437م):

- جامع مسائل الأحكام لما نزل من الأقضية بالمفتين والحكام، ت: محمد الحبيب الميلة، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 2002.

15- الحميري محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (القرن 8 هـ/ 14م):

- الروض المعطار في خبر قطار، ت: إحسان عباس، ط2، بيورت، مكتبة لبنان، 1984م.

16- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1468 م):

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مطبعة الأميرية، (د، ط)، القاهرة، 1333هـ/ 1915م، ج5.

- المصادر:

1- ابن وردي أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الكندي: تاريخ ابن الوردي لجريدة العجائب وفريدة الغرائب)، (د. د. ن)، (د. ط)، القاهرة، 1292هـ، ج.1

2- البكري أبو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز ت (487هـ- 1094م)، المغرب في ذكر بلاد الإفريقية المغرب، بغداد، مكتبة المثنى، (د.ط)، (د.ت).

3- ابن القاضي احمد المكناسي ت (1025هـ/ 1616م): جدور الاقتباس في ذكر من قل جامع المفردات الأدوية والأغذية، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1991، ج.4

4- ابن خاتمة أحمد بن علي الأنصاري توفي بعد (770 هـ/ 1369م):

- تحصيل غرض القاصد في تفصيل مرض الوافد، ضمن كتاب: عبد الكريم الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الاسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج1.

- الطب والأطباء في الأندلس الاسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج.1

5- الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت (926 هـ/ 1228م): معجم البلدان، دار صادر1397ه/ 1997م.

6- المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء ط3، 1421 ه/ 2000م

7- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الإستقصا أخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج3، ج4، دار الكتاب، دار البيضاء، (د. ط)، 1418 ه/ 1997م.

8- القادري بوتشيش إبراهيم، مباحث في تاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال العصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1414 ه/ 1993م.

- المراجع:

1- الزركلي خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمشتشرقين، دار العلم للملايين، ط 15، بيروت، 2002م.

2- ابن شقرون محمد أحمد، مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة (د. ط)، المغرب، .1985

3- لوتورنو روجيه، فاس في عصر بني مرين، تر: نقولا زيادة، مؤسسة قرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967م.

4- سعد زغلول، عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي لموحدون مصامدة السوس الجياليون ورقة المرابطين تأسيس الدولة وقيامها (500- 558هـ/ 110- 1163م)/ منشاة المعارف (د.ط)، الاسكندرية، (د. ت)، ج.5

5- سيدي موسى، محمد الشريف: الحياة الاجتماعية والاقتصادية ببجاية، دار الكرم الله للتوزيع، (د، ط)، الجزائر، .2011

6- المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، ط3، الرباط، 2000م.

7- إبراهيم القادري بوتشيش، تطور الفلاحة في مكناس من عصر المرابطين إلى أواخر العصر المريني، مجلة المناهل، ع 38، دار المناهل للطباعة والنشر، الرباط، 1989م.

8- عبد الهادي بياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان بالمغرب والأندلس، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2008.

9- الدوري عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 1995م.

10- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط1، 1984، ج1، ج2.

11- الزركلي خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم، ط 15، بيروت دار العلم للملايين، بيروت، .2002

12- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م-869هـ/1465م)، دار الحكم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1987.

13- عبد الكريم جودت، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب خلال القرنيين الثالث والرابع الهجرين (10/9م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، .1992

14- استينو محمد، الفقراء في المغرب، نماذج من القرنين (16-17)، (د-ط)، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1427هـ- 2006م.

- الرسائل الجامعية:

1- بلبشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى 9 هـ/ 12 إلى 15م من خلال كتاب المعيار الونشريسي،

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار كلية علوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2010.

2- رقية مويسات، الغذاء والتغذية في المغرب الإسلامي الخضروات والفواكه أنموذجا من القرن الثاني إلى القرن التاسع ميلادي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019م، ص: 67. محمد البركة، النظام الغذائي بالمغرب ومطبعة بني أزناس سلا، المغرب، 2016.

3- روان بن اللموشي، فاطمة بن ناجي، الحياة الاقتصادية في الدولة المرينية (688-896هـ/ 1236- 1514م)، مذكرة مكملة لمتطلبات لحصول على شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علوم إنسانية، 2008.

4- مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف محمد الأمين بلغيث، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنيطينة، 2008-2009.

فهرس الموضوعات

الفهرس الموضوعات

- شكر والعرفان

- الإهداء

- قائمة المختصرات

- مقدمة.....أ

الفصل الأول: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة المرينية (7 هـ إلى 9 هـ)

- المبحث الأول: الوضع السياسي.....02

- أصل بني مرين 02

- مراحل سيطرتهم على المدن واراضي المغرب الاقصى 05

-دور السلطان يعقوب عبد الحق في استكمال فتح 11

- المبحث الثاني: الوضع الاقتصادي.....15

- الزراعة 15

- الصناعة 20

- التجارة 25

- المبحث الثالث: الوضع الاجتماعي.....27

الفصل الثاني: المسبغات والأوبئة التي ضربت المغبر الأقصى (7 هـ إلى 9 هـ)

- المبحث الأول: المجاعات الواقعة في المغرب المريني.....32

- المبحث الثاني: الأوبئة والأمراض المنتشرة في المغرب.....36

- المبحث الثالث: الأسباب المؤدية لحدوث أزمة الجوع والوباء.....42

-أسباب الجوع 42

- اسباب الوباء 51

الفصل الثالث: الانعكاسات الناتجة عن أزمة المسبغة والوباء والسعي لتجاوزها

- المبحث الأول: أثارها الاجتماعية.....57
- السرقة 57
- التسول 58
- المبحث الثاني: الانعكاسات الديمغرافية.....60
- الوفيات 60
- الهجرة.....60
- المبحث الثالث: جهود لتجاوز أزمة المسبغة والوباء.....63
- جهود السلاطين.....63
- طرق العلاجية 68
- جهود بعض الفقهاء.....73
- خاتمة.....79
- قائمة المصادر والمراجع.....83
- فهرس الموضوعات.....90

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى أوضاع الدولة المرينية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية)، وأهم المسغبات والأوبئة التي ضربت المغرب الأقصى في العهد المريني (7 هـ-9 هـ)، حيث تسببت في حدوثها جملة من الأسباب منها ما هو طبيعي ومنها ما هو بشري، وعاش أفرادها في ظل هذه الأزمات أوضاعا مزرية من أبرزها الآثار الاجتماعية وانعكساتها الديمغرافية، كما أفرزت هذه الأزمات عن نوع التضامن والتكافل، والسعي للتقليل من حدتها.

الكلمات المفتاحية: المسغبات- الأوبئة- الدولة المرينية.

Summary:

This study aims at the conditions of the Marinid state (political, economic and social), and the most important causes and epidemics that struck the Far Maghreb in the Marinid era (7 AH-9 AH). These crises remained miserable conditions, most notably the social effects and their demographic repercussions. These crises also resulted in a type of solidarity and interdependence, and an effort to reduce their severity.

Key words: precipitations - epidemics - the Marinid state.